معاجم خلق الإنسان في التراث، وأثرها في الدراسات النحوية والصرفية دراسة وصفية تحليلية موازنة

د٠ رشيد بن عبد الله الربيش (*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، القائل في محكم التنزيل: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن التراث المعجمي لخلق الإنسان موضوع مهم في بابه، فقد نال عناية خاصة في تراثنا اللُّغوي، وانبرى علماء اللغة يتنافسون في التأليف فيه، ما بين كتب مستقلة، وأبواب مُضَمَّنة، فرأيت أن أُسهم مع مَن سبقني بجهد المقل بالوصف، والتحليل، والموازنة.

ولقد اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، يسبقها مقدمة، فتمهيد، ويتلوها خاتمة بأهم النتائج.

– أما التمهيد فكان للحديث عن نشأة التأليف في خلق الإنسان.

– وأما المبحث الأول: فهو الدراسة الوصفية لكتب خلق الإنسان المطبوعة.

– وأما المبحث الثاني: فكان عن الظواهر النحوية والصرفية في هذه المعاجم.

وجاء المبحث الثالث: للموازنة بين كتب خلق الإنسان.

(*) أستاذ النحو والصرف المشارك قسم اللغة العربية وآدابها – كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية – جامعة القصيم.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه تناول جانبًا مهمًّا مِن جوانب التأليف المعجمي، وهو التصنيف في خلق الإنسان، وكشف خصائصه، ومناهج مؤلفيه، وأثره في الدرس النحوي والصرفي، مما لم تستوفِه الدراسات السابقة.

الدراسات السابقة:

لم تُفرد هذا النوع مِنَ التأليف المعجمي عند العرب بالتفصيل والتحليل – حسب علمي – سوى أربع دراسات فقط:

- **الدراسة الأولى:** «التأليف في خلق الإنسان مِن خلال معاجم المعاني، دراسة تاريخية موضوعية لُغوية»، للدكتورة وجيهة أحمد السطل، رسالة دكتوراه بإشراف الدكتور: حسين نصار، منشورات دار الحكمة، دمشق.

وقد نُشر الكتاب مرة أخرى بعنوان: «جسم الإنسان في معجم المعاني، دراسة تحليلية لُغوية»، إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

وهي دراسة جيدة، غير أنها لم تُقم دراستها إلا على ستة كتب مِن كتب خلق الإنسان، وهي: كتاب الأصمعي، وثابت، والزجاج، وابن فارس، والإسكافي، والغزي.

ودراستها كانت مقتضبة، واكتفت فيها بالوصف الظاهري.

- **الدراسة الثانية:** قام بها د. نهاد حسوبي صالح، تحت عنوان: (كتب خلق الإنسان مع تحقيق كتاب غاية الإحسان في خلق الإنسان للسيوطي).

وهي دراسة جيدة وأكثر تفصيلًا مِن دراسة السطل. غير أن الباحث أدخل معها (كتب الفرق)، وأسقط منها بعض كتب خلق الإنسان.

- **الدراسة الثالثة:** بحث: (مصنفات اللُّغويين العرب في مصنفات خلق الإنسان) للدكتور: إحسان النص، نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،

المجلد (٧٣)، الجزء (٢) في ثماني عشرة صفحة، بدأها بسرد تاريخي لمصنفات خلق الإنسان، ثم خص أربعة كتب فقط بشيء مِنَ التفصيل.

- **الدراسة الرابعة:** بحث: (مؤلفات خلق الإنسان، دراسة وصفية تاريخية) د. عبد الله الوقيت، منشور في العدد (٣٣) في مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، الجزء الخامس، ٢٠١٤م، وهي دراسة مقتضبة، عُنِيت بالسرد التاريخي، والوصف الظاهري للكتب المطبوعة، خلت مِنَ الإحصاء والتحليل.

وكل هذه الدراسات السابقة مع إسهامها في إثراء هذا الموضوع، إلا أنها لم تخْلُ مِن قصور في بعض الجوانب، ما دفعني إلى الإسهام فيه، **وقد امتاز هذا البحث عنها بما يلي:**

١- عنايته بوصف كتب خلق الإنسان وصفًا دقيقًا لكل ما فيها من سمات وظواهر منهجية ولُغوية.

٢- وصف النسخ المطبوعة، وتقويم عمل المحققين، ولم أجد مَن عُني بذلك من الدارسين.

٣- إحصاء ألفاظ هذه الكتب وشواهدها، والإشارة إلى زوائدها وفوائتها، ولم أقف على مَن عُني بذلك.

٤- عقد موازنة ضافية بين تلك الكتب في مناهجها، وألفاظها، وشواهدها، ومصادرها، وظواهرها المختلفة، وقَلَّ مَن عُني بذلك واستقصاه.

٥- تفرده ببيان الظواهر النحوية والصرفية في تلك المعاجم.

هذا ما أضفته، ولا أدعي السبق والكمال، وأسأل الله الإخلاص والقَبول.

**

التمهيد

التأليف في معاجم خلق الإنسان

المطلب الأول: منزلته في التراث اللغوي.

لقد اهتم العلماء بالتأليف في خلق الإنسان وأولوه عناية خاصة، تناولوا فيه أعضاء الإنسان كلَّها وصفاتِه المختلفةَ ومراحلَ عمره.

وتُمثل كتب خلق الإنسان إسهامًا نافعًا رفد المعجم العربي بعدد وافر من الألفاظ والمفردات والشواهد لأسماء أعضاء الإنسان وصفاتها[1].

وتُعد هذه الكتب الأصل الذي اعتمد عليه معظم مصنفي المعاجم العربية.

ولأهمية هذا الموضوع عند علماء اللغة أنك لا تكاد تجد منهم مَن ليس له نصيب مِنَ الحديث فيه، فمَنْ لم يُفرد له كتابًا مستقلًّا ضمنه بابًا مِن كتابه[2].

ومما يدل على مكانة هذا اللون من التأليف: أن العلماء لم يقفوا فيه عند مرحلة معينة، فمع أن التأليف فيه بدأ مبكرًا جدًّا قبل نهاية القرن الثاني على يد عمرو بن كركرة أحد مَن أخذ عنهم الخليل، فإنه استمر بعد ظهور المعجمات الشاملة إلى عصور متأخرة، فأَلَّف فيه السيوطي (ت ٩١١ هـ)، بل جاء بعده أبو البركات الغزي (ت ٩٨٤ هـ) في نهاية القرن العاشر الهجري[3].

كما أن لهذه الكتب ميزةً تفضل بها كتب معاجم الألفاظ، وهي أن الرجوع إليها أسهلُ مِنَ الرجوع إلى تلك المعجمات.

---

(1) مقدمة كتاب الإنسان في اللغة، لمحمد بن حبيب (ص ٢٩).

(2) التأليف في خلق الإنسان مِن خلال معاجم المعاني، للدكتورة: وجيهة السطل (ص ٩، ٢١).

(3) ينظر: كتب خلق الإنسان مع تحقيق كتاب غاية الإحسان، للسيوطي، دراسة وتحقيق: د. نهاد حسوبي صالح (ص ١٢١).

ولقد أحس علماؤنا بأهمية هذا اللون مِنَ التأليف، فأوضحوا ذلك في مقدمات كتبهم، فهذا ابن فارس يقول: «هذا ما يجب حفظه على المرء مِن خلق الإنسان، فقد نرى مَنْ إذا أراد الإخبار عن عضو مِن أعضائه بوجع يعتريه فيه، أومأ إليه باليد قصورًا عن معرفة اسمه، وهذا قبيح».

ويقول السيوطي في مقدمته: «فإن مِنَ المهم للمتسمين بسمة العلم أن يحيطوا بأسماء أعضاء الإنسان وأبعاضه وأجزائه وعوارضه».

المطلب الثاني: نشأة التأليف في خلق الإنسان ومصنفاته:

١- **النواة الأولى:** لقد ألفيت كل مَن تناول التأليف في هذا الموضوع يذكرون الكتب المصنفة فيه دون محاولة البحث عن وجود بذور سابقة للتدوين.

ولقد وقفتُ على ما يُمكن اعتباره الباكورة الأولى للتفكير في هذا اللون مِنَ التأليف، فقد عثرتُ في مجلة المجمع العراقي على مقال للدكتور: عبد الله عاصم بعنوان: «في سبيل معجم تشريحي لجسم الإنسان باللغة العربية»[1].

يقول في مطلعه: «قرأت في كتاب المستطرف أن عبد الملك بن مَرْوان الخليفة الأموي نظم في زمنه مباراة فريدة مِن نوعها يمكن أن نعدها بداية مجهود علمي ولبنة أولية في معجم تشريحي لجسم الإنسان».

وخلاصة الفكرة: أن الخليفة عبد الملك بن مَرْوان طلب مِنْ سُمَّاره يومًا أن يأتوه بحروف المعجم مِن جسدهم ويتمنوا ما يريدون**!**.

ولما طرح الفكرة بادر سويد بن غفلة، وكان مِنَ الفصحاء إلى الإجابة فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين، فبدأ في سرد أعضاء البدن وأجزائه بعدد الحروف الهجائية، وعلى ترتيبها قائلًا: (أنف، بطن، ترقوة، جمجمة، حلق، هامة، وجه، يد).

(1) الجزء ٤٢، المجلد الأربعون، عام ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م، ص ٣٦٨.

فما إن أتم سويد حتى انبرى أحد الحاضرين وقال للخليفة: أنا أقولها مِن جسد الإنسان مرتين، فلم يلبث أن تصدى سويد قائلًا: أنا أقولها ثلاث مرات، فذكر ثلاثة أعضاء في الألف، وثلاثة أعضاء في الباء، وثلاثة أعضاء في التاء، وهكذا إلى آخر الحروف.

ومما يؤكد على أن مثل هذه الحادثة كانت نواة للتأليف في خلق الإنسان: أن أحد مَن ألَّف فيه – وهو الحسن بن عبد الرحمن – صرَّح في مقدمة كتابه أن سبب تأليفه هو شغف مَن ألفه مِن أجله مِنَ الوجهاء بهذا النوع من المباراة[1].

٢– الكتب المستقلة في خلق الإنسان:

لقد صنَّف في خلق الإنسان طائفة مِن علماء اللغة، غير أن معظم المصنفات عبثت بها أيادي الزمن فلم تصل إلينا، إلا أنه قد أفاد منها أصحاب المعجمات، ونقلوا عنها في مصنفاتهم.

وبما أن هذه الكتب مفقودة، فسأقصر حديثي على الموجود منها فقط، وإن كنت قد حصرتها؛ خشية الإطالة، وقد بلغ مجمل ما صُنف في خلق الإنسان تسعة وخمسين مصنفًا، تفاوتت الدراسات الحديثة في حصرها، ولم أجد مَنِ استقصاها كاملة.

وكانت بداية التأليف في معاجم خلق الإنسان في القرن الثاني الهجري على يد أبي مالك عمر بن كركرة الأعرابي، أحد مَن أخذ عنهم الخليل.

ولم تبلغ مصنفات هذا العصر سوى أربعة فقط.

ويُعد القرن الثالث الهجري العصر الزاهر لهذا النوع مِنَ التأليف؛ حيث بلغت مصنفاته ثلاثة وعشرين مصنفًا، يليه القرن الرابع، وبلغت مصنفاته ثمانية فقط،

(1) ينظر: مقدمة الكتاب، وبحث (حول كتاب خلق الإنسان لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن، د. محمد أجمل الإصلاحي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٧٩)، الجزء (٢).

أما القرن الخامس فبلغت ستة كتب فقط، ثم جاءت عصور عجاف امتدت حتى مطلع القرن العاشر؛ حيث صُنّف فيه مصنفان فقط، أولهما للسيوطي، والآخر لأبي البركات الغزي.

أما الكتب المطبوعة – وهي كل ما وصل إلينا – فهي عشرة كتب فقط، سأتناولها بالتفصيل في المبحث الأول.

– بَقِي أن أشير إلى أن هناك كتبًا كثيرةً ضمنها أصحابها أبوابًا وفصولًا عن خلق الإنسان، ككتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكنز الحفاظ لابن السكيت، وأدب الكتاب لابن قتيبة، وفقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سيده، وغيرها، لن تشملها هذه الدراسة لضيقها عنها.

**

المبحث الأول

الدراسة الوصفية التحليلية

لقد ذكرت في المقدمة الكتب التي ستكون محور هذه الدراسة، وهي ما حَفِظته لنا المكتبة العربية مِن معاجم خلق الإنسان، وسلمت مِنَ الضياع الذي لحق بأغلب الكتب المؤلفة في هذا الموضوع. وقد بلغت عشرة كتب، وهي: كتاب خلق الإنسان للأصمعي (ت ٢١٣ هـ)، وخلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت، مِن علماء القرن الثالث الهجري، وخلق الإنسان في اللغة لمحمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـ)، وخلق الإنسان للزجاج (ت ٣١٠هـ)، ومقالة في أسماء أعضاء الإنسان لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، وكتاب استعارة أعضاء الإنسان لابن فارس أيضًا، وكتاب خلق الإنسان للإسكافي (ت ٤٢٠ هـ)، وخلق الإنسان للحسن بن أحمد بن عبد الرحمن (أواخر القرن الرابع – أوائل القرن السادس)[1]، وغاية الإحسان في خلق الإنسان للسيوطي (٩١١ هـ)، وفي ذكر أعضاء الإنسان لأبي البركات الغزي (ت ٩٨٤ هـ). ومِن حسن الحظ أن كل هذه الكتب مطبوعة محققة.

وقد وهم بعض الدارسين حينما زعم أن أكثرَها مخطوط لم يرَ النور، والمطبوع منها نادر[2].

وسأتناول – بحول الله – هذه الكتب كلَّها حسب ترتيبها الزمني، واصفًا كل كتاب منها، ومبينًا نسبته لمؤلفه، وحالة تحقيقه.

---

(1) ينظر: بحث (حول كتاب خلق الإنسان، لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن)، د. محمد الإصلاحي ص ٢٤٨، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (٧٩)، الجزء (٢).

(2) مؤلفات خلق الإنسان. دراسة وصفية تاريخية، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد (٣٣)، الجزء (٥)، ص ٣٢٨٨، عام ٢٠١٤م.

أولًا: كتاب خلق الإنسان لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٣ – ٢١٦ هـ):

- **نسبة الكتاب وتحقيقه:** الكتاب صحيح النسبة له؛ حيث ذكره ابن النديم في الفهرست(١)، وحاجي خليفة في كشف الظنون(٢)، ومعظم مَن ترجم له.

وقد نشره الدكتور أوغست هفنر ضمن مجموعة (الكنز اللغوي في اللسان العربي) سنة ١٩٠٣م، ولم يقدم له الناشر أدنى دراسة، كما لم يحققه التحقيق العلمي المعروف، فقد خلا الكتاب مِنَ الهوامش على الرغم من أنه كُتب على صفحة عنوان الكتاب: سعى في نشره وتعليق حواشيه الدكتور/ أوغست هفنر.

والكتاب يقع في أربع وسبعين صفحة، سوى الفهارس، ولو حُقق الكتاب لجاء ضعف هذا الحجم.

- **منهج المؤلف في الكتاب:**

١– مقدمة الكتاب: لقد دخل الأصمعي في صلب موضوع كتابه مباشرة دون أن يفتتحه بمقدمة تُبين غرضه أو منهجه، وإنما بدأ بعد البسملة بـ «ما يُذكر مِن حمل المرأة وولادتها والمولود»(٣)، ثم تحدث عن مراحل عمر الإنسان من الولادة إلى الهرم؛ تحت عنوان: «ما يُذكر من تقلب أحوال الإنسان»(٤).

وكانت تلك المباحث بمثابة التمهيد للدخول في أصل الموضوع، وهو الحديث عن أعضاء جسم الإنسان.

٢– ترتيب الكتاب: اتبع الأصمعي في ذكر أعضاء جسم الإنسان وصفاته التصنيف العضوي مبتدئًا بأعلى عضو في الإنسان، وهو الرأس، مارًّا بسائر

(١) (ص ٦١).
(٢) (١/ ٧٢٢٢).
(3) ص ١٥٨.
(4) ص ١٦٠.

أعضاء الجسم حتى وصل إلى القدمين. وهو في كل عضو يقف عنده واصفًا إياه ومُحددًا موضعَه، ومعددًا ما فيه من أجزاء بأسمائها وصفاتها.

- ثم ذكر بعد ذلك ما يكون في النساء دون الرجال.
- ثم ختم كتابه بطائفة مِن صفات الرجال الحسية؛ كالطول، والقصر، ونحوها، وأورد معها بعض الصفات الخُلُقِية.
- والأصمعي في نهاية كل عضو يختمه بأوصاف ذلك العضو مِن طول وقصر، وضيق وسعة، ونحوها، وقد يذكر أدواء ذلك العضو، كذِكْره أدواء الجوف.
- غير أن الأصمعي لم يلتزم في ذلك منهجًا منتظمًا، فقد يخلط أحيانًا الصفات بالأسماء، مخالفًا منهجه في إيراد الصفات بعد الأسماء.

٣- مصادره: لقد كان الأصمعي راوية للغة، يستقيها مِن ينابيعها الأصلية، مِن أفواه الأعراب والرواة مباشرة، فكان سماعُه هو مصدرَه الرئيس في كتابه.

ومِن هنا فقد كان الأصمعي مصدرَ غيرِه من العلماء ممن جاء بعده، كما سيتضح مِن خلال عرض كتب خلق الإنسان[١].

- وإذا كنا نعد **سماعه عن الأعراب** بالمشافهة مصدره الأول؛ حيث يقول: «وسمعت بعض العرب يقول: إن فلانًا لحسنُ الوجه، حليفُ اللسان، طويل الأمَّة»[٢]، فإن مِن مصادره أيضًا: نقله اللغة بواسطة بعض الرواة مِنَ العلماء، ومنهم: أبو عمرو بن العلاء[٣]، وعيسى بن عمر[٤]، وأبو عبيدة[٥].

---

(1) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب غاية الإحسان في خلق الإنسان، للسيوطي، د. نهاد حسوبي ص ٤٩.
(2) ص ١٦٤.
(3) ص ١٨٤، ٢٣١.
(4) ص ٢٠٤.
(5) ص ١٩٨.

٤– **شواهده:** لقد قَصَر الأصمعي استشهاده على الشعر، الذي حاز على معظم شواهده، ثم الأمثال التي كان حظها مِنَ الاستشهاد بها يسيرًا جدًّا؛ حيث لم يتجاوز ثمانية أمثال فقط(١).

ولم أجد بين أصحاب الدراسات السابقة مَن أحصى شواهد الكتاب.

ولقد أحصيت ما استشهد به الأصمعي مِنَ الشعر، فألفيته قد بلغ مائتين وتسعين شاهدًا ما بين شعر ورجز.

والغريب أن يذكر محقق كتاب «غاية الإحسان» للسيوطي: أن شواهد الأصمعي بلغت ألف شاهد، والذي أوقعه في هذا الوهم أنه اعتمد على فهرس المحقق، ولم يتفطن إلى أن المحقق جعل فهارسه للمجموع كله، الذي حوى ثلاثة كتب.

* وقد كانت معظم شواهده منسوبةً إلى أصحابها(٢)، وقد يدع شواهده دون نسبة(٣).

* ويحرص الأصمعي على الإشارة إلى الرواية الأخرى للبيت(٤).

٥– **ألفاظه:** لم أجد عند أصحاب الدراسات السابقة إحصاءً للألفاظ التي اشتمل عليها كل كتاب، وهو أمر ضروري لكل دراسة جادة.

ولقد قمتُ بإحصاء الألفاظ التي وردت في كتاب الأصمعي، فألفيتها قد فاقت (٧٥٠) ما بين اسم وصفة.

---

(1) ينظر: ص ٦٥، ١٥٩، ١٦٦، ١٨٢، ١٨٦، ٢١٧، ٢٢١.

(2) ينظر: ص ٦٠، ٦٣، ٧٦، ١١٥، ١٧٧، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٣٠.

(3) ينظر: ص ١٥٩، ١٦٢، ١٦٥، ١٨٩، ١٩٨، ٢١٣، ٢١٥.

(4) ينظر: ١٦٣، ١٩٠، ٢٠٠، ٢٠٩، ٢١٤.

ومع هذا العدد الوافر مِنَ الألفاظ التي شملها الكتاب، إلا أنه قد فاته منها الشيء الكثير، مما أثبته ثابت، وقد أحصيت منها واحدًا وثلاثين لفظة، منها:

البُلْدة[١]، والبَرَح[٢]، والتامور[٣]، والجَلَنْفَعَة[٤]، وحبة القلب[٥]، والخُضُمَّة[٦]، وخَثْلَة البطن[٧]، والحَزْرَة[٨]، وذباب العين[٩]، والذلعاء[١٠]، والشَّرنبثة[١١]، والفَطَس[١٢]، والكَبَس[١٣]، والعميميران[١٤].

٦- طريقته في الشرح: لم يكن الأصمعي يقتصر على إيراد اللفظة وذكر معناها، كما لا يكتفي بإصابة المعنى بعبارة قصيرة، بل عمد إلى الشرح والتفسير والتفصيل والاستشهاد، ونحو ذلك، حتى جاءت مادة كتابه غزيرة جدًّا.

---

(1) كتاب خلق الإنسان، لثابت ص ١٠٠.
(2) المصدر السابق ص ١٢٨.
(3) المصدر السابق ص ٢٥٩.
(4) المصدر السابق ص ١٥٨.
(5) المصدر السابق ص ٢٥٩.
(6) المصدر السابق ص ٢٢٠.
(7) المصدر السابق ص ٢٦٨.
(8) المصدر السابق ص ٢٣٦.
(9) المصدر السابق ص ١٠٧.
(10) المصدر السابق ص ١٥٤.
(11) المصدر السابق ص ٢٣٢.
(12) المصدر السابق ص ١٥٠.
(13) المصدر السابق ص ٥٨.
(14) المصدر السابق ١٨٢.

وسأسجل أبرز مظاهر الشرح عنده في نقاط موجزة، وهي كما يلي:

١- يذكر اسم العضو، ثم يبينه إما بتحديد موضعه مِنَ الجسم، فيقول: «الذُّؤَابة: أعلى الرأس»[١]، أو بإعطائه وصفًا يُميزه، كقوله: «وفي الرأس الفراش، وهو العظام الرقاق يركب بعضها بعضًا»[٢]، أو بذكر محل استعماله؛ كقوله: «ثم الجبهة، وهي موضع السجود»[٣].

٢- وبعد أن يذكر اللفظة ويفسر معناها يُردف ذلك بذكر شواهدَ مِن الشعر تزيده وضوحًا وبيانًا[٤]، وقد لا يكتفي بشاهد واحد، فيُردفه بثانٍ وثالث.

* وقد يستشهد بأمثال العرب في شرح المفردة على قلة[٥].

* وإذا ورد في شواهده ألفاظٌ غريبة، فإنه يشرحها[٦].

٣- والأصمعي لا يكتفي ببيان معنى اللفظة والاستشهاد لها، بل يذكر ما يتعلق باللفظة مِن تصاريفَ ومشتقاتٍ واستعمالاتٍ لُغوية وأقوالٍ، ونحو ذلك[٧].

٤- ويُعنى الأصمعي وهو يشرح اللفظة مِن عضو الإنسان بذكر ما يخص الحيوان أيضًا، أو ما يشارك الحيوان فيه الإنسان في التسمية.

ومِن أمثلة ذلك قوله: «وأسفل مِن موضع الطعام يقال له: المِحْشَى -بكسر الميم غير مهموز، وهو المبعر مِن كل ذي أربع»[٨].

---

(1) ص ١٦٨، ١٦٩. وينظر: ص ١٧٦، ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٢٧.

(2) ص ١٦٨. وينظر: ص ١٦٩، ١٨٥، ٢٠٤، ٢٢٦.

(3) ص ١٧٨. وينظر: ص ١٦٩، ١٧٠، ٢١٤، ٢٢١، ١٩٨، ٢٠٤.

(4) ينظر: ص ٦٧، ١٦٣، ١٧٢، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١.

(5) ينظر: ١٦٥، ١٦٦، ١٨٦، ٢١٧، ٢٢١.

(6) ينظر: ١٧٤، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٦، ٢٠٢، ٢١٦، ٢٢١.

(7) ينظر: ١٥٦، ١٦١، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٦، ١٩٣، ١٩٤.

(8) ص ٢٢٠.

٥- كما يُعنى أيضًا بذكر اختلاف العرب في لغاتهم، ومن أمثلة ذلك قوله: «وبعض العرب يقول: أيْطل، وبعضهم يقول: إطِل مثل إبِل. وبعض العرب يقول للجُفْرة الثُّجْرة، وهما لغتان»[١].

٦- وكثيرًا ما يُورد مسائل تصريفية، وقد يشير بقلة إلى مسائلَ نحويةٍ[٢].

٧- وللأصمعي عناية بذكر القضايا اللُّغوية؛ كالتذكير والتأنيث[٣] والاشتقاق[٤] والقلب، والإبدال، والترادف، والمشترك، والفروق، والمعرب، والدخيل[٥].

٨- وقد يذكر بعض المسائل البلاغية؛ كالتشبيه، والمجاز، والكناية، واللف، والنشر[٦].

ثانيًا: كتاب خلق الإنسان لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت مِن علماء القرن الثالث الهجري:

- **نسبة الكتاب وتحقيقه:** الكتاب ثابت النسبة له؛ حيث ذكرته مصادر ترجمته[٧]، كما صرَّح المؤلف باسم كتابه في مقدمته حيث قال: «قال ثابت بن أبي ثابت: هذا كتاب خلق الإنسان رويناه عن أبي عبيد والأثرم».

---

(1) ص ٢١٣. وينظر: ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٨، ٢١٧، ٢٢٢.

(2) سأفرد لذلك مبحثًا خاصًّا، وينظر في المسائل الصرفية: ص ١٦٠، ١٦٣، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٦. وفي المسائل النحوية ص ١٦٩، ٢٠٠، ٢١٧.

(3) ص ٢٠٥.

(4) ينظر: ص ١٥٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٥، ١٨١، ١٨٥، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢٢٦.

(5) ينظر: ص ١٦٠، ١٧٠، ١٧٩، ١٩٨، ٢٢٢.

(6) ينظر: ص ١٧٠، ١٧٤، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٤، ٢٢٢.

(٧) ينظر: الفهرست ص ٧٦، وبغية الوعاة ١/ ٢١٠، وكشف الظنون ص ٧٢٢.

وقد نُشر الكتاب بتحقيق عبد الستار أحمد فراج عن سلسلة التراث العربي، في الكويت ١٩٨٥ م.

ولم يُقدم له محققه أي دراسة تُذكر سوى مقدمة يسيرة في حدود ثلاث صفحات، غير أنه صنع له فهارس كاملة.

وقد جاء الكتاب في ثلاثمائة وإحدى وثلاثين صفحة عدا الفهارس والمقدمة.

- **منهج المؤلف في الكتاب:**

١– **مقدمة الكتاب:** استهل المؤلف كتابه بمقدمة مختصرة جدًّا، بيَّن فيها سنده، ومصادره، وعمله في الكتاب، ومنهجه بعبارة موجزة.

٢– **طريقته في ترتيب الكتاب:** لقد سار ثابتٌ على خطى الأصمعي في تصنيف مادة خلق الإنسان؛ حيث التزم التصنيف العضوي الموضعي منتقلًا مِن أعلى الرأس إلى القدمين، وقد مهَّد لحديثه عن أعضاء الإنسان بمباحثَ قصيرةٍ تابع فيها الأصمعي، وزاد عليه:

١– باب: ما يُخلق في الرحم وما يخرج مع الولد (ص ١٢).

٢– ومِن صفة الجارية إلى أقصى منتهى الكبر (ص ٢٩).

– وبعد هذا التمهيد انتقل إلى وصف أعضاء الإنسان عضوًا عضوًا، مُقسّمًا كتابه إلى أبواب، مُبتدِئًا بباب الرأس وأعضائه، ومنتهيًا بأوصاف القدمين والمشي، مُذَيّلًا كتابه بحصر جميع ما في جسد الإنسان مِنَ العظام؛ وما في الكبد والمرارة مِن طريقة، وما في المعدة من قناة.

ويختم ثابت كل عضو بصفاته، كما في باب الرأس، والأذن، والأنف، والعنق، والمنكب، والعضد، والركبة، والقدم، وغيرها.

وقد يُفرد للصفات بابًا مستقلًّا، كما في صفات العيون المستحسنة والمستقبحة، وباب محاسن البطون، ومِن قبح البطون.

٣- **مصادره:** لقد ذكر ثابت مصادره في مقدمته؛ حيث قال: «هذا كتاب خلق الإنسان رويناه عن أبي عبيد، والأثرم، وسلمة بن عاصم، وأبي نصر، وغيرهم، وابن الأعرابي، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري عن الكلابيين... وإن جاء في كتابنا شيء عن غير هؤلاء الذين سميناهم بيناه وحكيناه عن أصحابه، إن شاء الله».

ولقد نقل ثابت عن آخرين؛ كيونس بن حبيب (١٤٩ هـ)، وعيسى بن عمر (١٤٩ هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ)، والفراء (٢٠٧ هـ)، وأبي عبيدة (٢٠٩ هـ)، وأبي عمرو الشيباني (٢١٠هـ)، وعمرو بن كركرة (٢٤٨ هـ)، وغيرهم.

وأكثر مَن عوَّل عليه في النقل الأصمعي؛ حيث بلغت مواضع النقل عنه (٨٢ موضعًا) حتى إنه ليصدّر معظم أبوابه بقوله: «قال الأصمعي».

ولم يصرح ثابت بكتاب واحد ممن نقل عنهم البتة.

٤- **شواهده:** لقد امتاز ثابت بكثرة شواهده وتنوعها، فكما استشهد بالشعر، وكلام العرب المنثور، استشهد أيضًا بالقرآن الكريم في أربع آيات، والحديث الشريف في (١٧ حديثًا وأثرًا)، وهذا يُعد سبقًا يُحسب له.

أما أمثال العرب وأقوالهم، فبلغت عنده (١٧ قولًا ومثلًا).

وأما شواهد ثابت الشعرية، فقد بلغت (559 شاهدًا) ما بين شعر ورجز عدا الأبيات المكررة.

* ومعظم شواهد ثابت منسوبة إلى أصحابها[١]. وقد يدع نسبتها[٢].

---

(1) ينظر على سبيل المثال: ١، ٢، ٤، ٥، ٦، ٢٢، ٤٤، ٥١، ١١١، ٢١٢، ٢٣٩، ٢٤٩، وغيرها كثير.

(2) ينظر نماذج على ذلك في: ٣، ٦، ٢٤، ٣٢، ٤٢، ٥٥، ١٠١، ١٥٠، ٢٢٦، ٣١٥.

* وثَمَّة ظاهرة عند ثابت في شواهده: أنه يذكر مناسبة البيت أحيانًا ووجه الاستشهاد به، فيقول: «وقال أبو كبير الهذلي يمدح رجلًا»[١]، «وقال ذو الرمة في الآل ينعت الإبل»[٢].

* وكما عني الأصمعي بالإشارة إلى اختلاف الروايات، فقد كانت لثابت عنايةٌ أشد[٣].

٥- **ألفاظه:** إن كتابًا بحجم كتاب ثابت لا بد أن يمتاز بكثرة ألفاظه وشمولها، فهو أكبر كتب خلق الإنسان حجمًا، ولقد أحصيت ألفاظه فوجدتها تربو على (١١٥٠ لفظةً).

* ولقد استدرك ثابت على الأصمعي ألفاظًا كثيرة، ذكرتُ طائفةً منها في الحديث عن كتاب الأصمعي، بل إن ثابتًا زاد على الأصمعي أبوابًا بأكملها؛ كباب: ما يُخلق في الرحم، ومِن صفة الجارية، وباب الدمع وما فيه، وباب محاسن البطون، وباب أدواء البطن وفساده، وباب فرج المرأة.

كما فصّل في أبواب لم يقف الأصمعي عندها طويلًا؛ كالحديث عن قلة الشعر وتفرقه في الرأس؛ وصفات الأسنان وعيوبها، وعيوب النطق.

* ونستطيع أن نقول: إن ثابتًا نقل معظم مادة الأصمعي وزاد عليها.

* ومع كل ما يُقال عن إضافات ثابت على الأصمعي، فلقد أهمل ألفاظًا خلا منها كتابه، في حين أثبتها الأصمعي، أحصيت منها واحدًا وعشرين لفظًا، منها:

---

(1) ص ٤.

(2) ص ٣٧. وينظر نماذج أخرى: ١١، ١٣، ٣٦، ٣٧، ٤٨، ٥٣، ١٠٥، ١٣٣، ١٨٢، ٢٢١.

(3) ينظر: ص ٢، ١٥، ١٧، ٣٢، ٣٦، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥٣، ٦٠، ٨٢، ١٠٢، ١١٢، ١٢٠، ١٥٢، ١٧٠، ١٧١، ١٧٦، ١٨٧، ٢٢٧، ٢٣٠.

الجثمان[١]، والسُّحْنَة[٢]، والخِشاش[٣]، ورواعي الشيب[٤]، وكوكب العين[٥]، والكَحَل[٦]، والكاسف[٧]، والفَغَم[٨]، واللِّيط[٩].

٦- **طريقته في الشرح:** لقد امتاز ثابت في كتابه بسَعة مادته اللغوية وتنوعها، فلم يكن همه منصبًّا على ذكر اللفظة وبيان معناها بعبارة وجيزة، وإنما كان يطيل في الشرح والإيضاح؛ معتمدًا على التحليل والتمثيل والاستشهاد.

وتتجلَّى ملامح منهجه في المظاهر التالية:

١- يذكر اللفظة مِن أعضاء الإنسان ويفسر معناها تفسيرًا واضحًا، بتحديد موضعها مِن جسم الإنسان، أو بوصفها وصفًا دقيقًا، ومِنْ تمام تفسير اللفظة: أن يذكر بعض اشتقاقاتها، واستعمالاتها اللغوية، ويورد شواهد عليها، وقد يشرح غريب شواهده، ويُبين معناها[١٠].

٢- يُكثر مِن ذكر الأوجه المتعددة، وأقوال العلماء، كقوله: «المُرَيْطَاء: جلدة رفيعة ما بين السرة والعانة... قال الأصمعي: هي ممدودة، وقال أبو عمرو: تمد وتقصر، وقال الأحمر: حظها القصر»[١١].

---

(1) خلق الإنسان، للأصمعي (ص ١٦٤).
(2) المصدر السابق (ص ١٦٥).
(3) المصدر السابق (ص ١٧٠).
(4) المصدر السابق (ص ١٧٧).
(5) المصدر السابق (ص ١٨٢).
(6) المصدر السابق (ص ١٨٢).
(7) المصدر السابق (ص ١٨٥).
(8) المصدر السابق (ص ١٨٩).
(9) المصدر السابق (ص ٢٢١).
(10) ينظر: ص ٤٤، ١٨٦، ٢٤٦.
(11) ص ٢٦٧ بتصرف. وينظر نماذج أخرى: ص ١٦، ٦٨، ٧١، ١٥٨، ١٧٠، ١٨٦، ٢٠٥، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٧٢، ٣٠٤، ٣١٢.

٣- كما عُني في أثناء شرح المفردة بذكر لغات العرب فيها، سواء نسب تلك اللغات أم تركها دون نسبة؛ كقوله: «عضد ناشلة ومنشولة، وهذه أعرفها في كلام أهل الحجاز»[١].

٤- ويُعنَى ثابت بذكر المسائل التصريفية، وأقل منها بكثير عنايته بالمسائل النحوية[٢].

٥- كما يشير إلى بعض المسائل اللغوية؛ كالاشتقاق والأضداد والترادف، ونحوها[٣].

٦- وقد يشير أحيانًا إلى بعض المسائل البلاغية؛ كالتشبيه والاستعارة والمجاز[٤].

٧- ولقد عُني ثابت عناية شديدة بذكر ما يتعلق بالحيوان مقارنة بأعضاء الإنسان، مما تختص به (كتب الفرق) أو ما يشاركه فيه[٥]. وليس بغريب عليه، وقد ألَّف كتابًا في الفرق، وهو مطبوع.

٨- وقد يستطرد ثابت بذكر بعض القصص والأخبار، ونحو ذلك[٦].

---

(1) ص ٢١٨.

(2) سيأتي الحديث عنها في مبحث مستقل، وينظر: ص ٢، ١٢، ١٦، ١٨، ٢٠، ٣٢، ٣٨، ٤٣، ٤٧، ٥٦، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٢٥، ١٣٠، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٢، ١٨٢، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٢٠، ٢٤٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٣٠٩، ٣٢٠.

(3) ينظر: ص ٧، ٢٢، ٢٧، ٣٢، ٣٦، ٤٦، ٨٠، ٨٥، ٩٨، ١١٤، ١١٦، ١٢١، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٩، ١٤٣، ١٥١، ١٥٥، ١٥٧، ١٨٣، ٢٠٢، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٦٥، ٢٦٨، ٣٠٧، ٣١٤.

(4) ينظر: ص ٢٤، ٣٧، ٦٥، ١٥٨، ١٩٨، ٢٤٦، ٢٧٨.

(5) ينظر: ٥، ٧، ١٢، ١٥، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٥، ٢٦، ٤٢، ٤٣، ٦٠، ٧٧، ٩٥، ٩٧، ١١٠، ١٢٥، ١٤٤، ١٥٤، ١٧٣، ١٩٤، ١٩٦، ٢٣٧، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٦٣.

(6) ينظر: ص ٢، ٢٦، ١٨٨، ١٩٧، ٢١٥، ٢٦٠، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٠٨.

**

ثالثًا: خلق الإنسان في اللغة لمحمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هـ):

- **نسبة الكتاب وتحقيقه:** الكتاب منسوب إليه في كشف الظنون[١]، وذكره السيوطي في مقدمة كتابه «غاية الإحسان»، وحسين نصار في المعجم العربي[٢]، والشرقاوي في معجم المعاجم[٣].

وقد حققه د. خليل إبراهيم العطية، وراجعه وقدم له د. رمضان عبد التواب.

وكانت قد ذكرت الباحثة وجيهة السطل أن الكتاب مفقود، ولم يُشر إليه أحد ممن أَرَّخ لمعاجم المعاني، وهذا بلا شك تسرع منها.

وقد قدَّم محقق الكتاب دراسة مقتضبة في مطلع الكتاب، تناول فيها التعريف بالمؤلف وكتابه، وتراث خلق الإنسان.

- **منهج المؤلف في الكتاب:**

١- **مقدمته:** لقد شرع ابن حبيب في موضوع كتابه مباشرة دون أن يستهله بمقدمة تُبين منهجه ومصادره، غير أن الكتاب قد صدر بسند روايته عن ابن حبيب[٤].

٢- **طريقته في ترتيب الكتاب:** لقد ابتدع ابن حبيب منهجًا جديدًا في التأليف في هذا الموضوع سار عليه بعضُ مَن ألف في خلق الإنسان؛ كالغزي، والحسن ابن عبد الرحمن.

- ويقوم هذا المنهج على ترتيب أعضاء الإنسان ترتيبًا هجائيًّا من الألف إلى

---

(١) (١/ ٧٢٢).
(٢) (١/ ١٠٦).
(٣) (ص ٩٤).
(4) ص ٤٣.

الواو، وأهمل الياء فلم يورد تحتها شيئًا.

- وهو تحت كل حرف يذكر ما يعرِفه مِن أعضاء الإنسان دون الصفات، ويعرضها كيفما اتفق دون عناية بالترتيب الداخلي. ففي باب الألف مثلًا يذكر الكلماتِ التاليةَ بهذا الترتيب: الأُداف، الأنف، الأذن، الإطِل، الأَخْمَصُ، الأُنْثَيان، الإصبع، الإبهام...

٣- **مصادره:** لقد خلا كتاب ابن حبيب مِن أية إشارة إلى مصدر ما، كتابًا كان أو علمًا، ويظهر أنه كَتَبَه مِن حافظته، بدليل إهماله كثيرًا من الألفاظ.

٤- **شواهده:** جاءت شواهد ابن حبيب قليلة جدًّا، لم يخرج بها عن دائرة الشعر، وقد بلغت تسعة أبيات فقط، لم ينسب منها سوى اثنين، أحدهما للنابغة والآخر لجرير[1].

٥- **ألفاظه:** بلغت ألفاظ جسم الإنسان في الكتاب (٢٦٠ لفظة). ولقد فاته مِنَ الألفاظ الكثير؛ مما دفع أبا البركات الغزي (ت ٩٨٤ هـ) في كتابه (في ذكر أعضاء الإنسان) إلى أن يستدرك عليه كثيرًا من الألفاظ، فقال في مقدمته: «فقد وقفت على مجموع لطيف حسن التأليف والترتيب للإمام اللُّغوي الأديب أبي جعفر محمد بن حبيب في ذكر ما في بدن الإنسان من الأعضاء، لكنْ فاته مِن ذلك شيءٌ كثير، فأحببت أن أضيف له مما فاته جملة صالحة».

ولقد أحصى محقق كتاب الغزي في مقدمته الألفاظ التي استدركها الغزي على ابن حبيب فوجدها (٤٩٧) لفظًا.

٦- **طريقته في الشرح:**

- لم يكن ابن حبيب يُعنى بشرح الألفاظ بذكر الأقوال، واللغات، والشواهد، ونحوها، وإنما اكتفى في غالب أمره على إيرادها فحسب؛ كقوله في باب الجيم:

(1) ص ٥٧.

«جبين، جبهة، جَهْوَة، جردان، جوانح، جمجمة، جلد، جفن العين»[1].

– وقد يورد اللفظ ومعناه المرادف له بأقصر عبارة؛ كقوله: «الوَدَفة: النطفة، أَسَلَة الذراع: وهي مستدقه»[2].

– ويندر ما يستشهد بالشعر لإيضاح معنى اللفظة[3].

**

رابعًا: كتاب خلق الإنسان لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١٠ هـ):

• **نسبة الكتاب وتحقيقه:** نسبه إليه جُلُّ مَن ترجم له، كابن النديم في الفهرست[4]، وحاجي خليفة في كشف الظنون[5]، وفي مقدمة الكتاب ما يثبت اسمه ونسبته لمؤلفه.

وقد حققه الدكتور: إبراهيم السامرائي ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد العاشر، سنة ١٣٨٢ هـ، ثم أعاد نشره ضمن كتاب: (رسائل وفصول في اللغة والأدب والتاريخ).

وقدَّم للتحقيق بمقدمة يسيرة لم تبلغ أربع صفحات. أما أصل الكتاب فيقع في أربع وأربعين صفحة. وهذا التحقيق هو الذي اعتمدتُ عليه في الدراسة.

كما أعاد تحقيقه وليد بن أحمد الحسين، ونشره في مجلة الحكمة الصادرة في بريطانيا، الطبعة الأولى عام ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

• **منهج المؤلف في الكتاب:**

١– مقدمة الكتاب: لقد جرد الزجاج كتابه مِن مقدمة تُبيّن منهجه ومصادره، ونحو ذلك، ودخل في صلب موضوعه مباشرة، إلا أن الكتاب صُدر بسند

(1) ص ٤٦.
(2) ص ٤٤. وينظر: ص ٤٥، ٤٦، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٥٧.
(3) ص ٤٥، وانظر: ٥٣، ٥٦، ٥٧.
(٤) (ص ٦٦).
(٥) (١/ ٧٢٢).

روايته عن الزجاج؛ حيث جاء فيه: «أخبرنا الشيخ الإمام... أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد، في آخر شوال سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، قال... قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري النحوي الزجاج، قال: هذا كتاب يذكر فيه خلق أسماء أعضاء الإنسان وصفاته على ما سمَّت العرب، فمِن ذلك: باب الرأس»[١].

٢– طريقته في ترتيب الكتاب:

لقد سار الزجاج في ترتيب كتابه على نهج الأصمعي وثابت بن أبي ثابت؛ حيث التزم الترتيب العضوي التنازلي مِن أعلى الرأس إلى أخمص القدمين، ولم يقتصر على ذكر أسماء الأعضاء فقط، بل سار على نهجهما في ذكر الصفات أيضًا، وهو أقرب إلى الأصمعي منه إلى ثابت، فلم يختلفْ عن الأصمعي كثيرًا في ترتيبه إلا بوضع عنوان لكل عضو. فتارة يجعله بابًا فيقول: «باب الرأس»، وتارة يجعل اسم العضو عنوانًا دون إضافة لفظة باب.

– كما أنه خالف الأصمعي بفصل الصفات عن الأسماء فجعلها تحت عنوان مستقل، لكنه لم يلتزم بذلك في جميع أحواله، فيجعل حديثه عن الصفات – أحيانًا – في نهاية حديثه عن الأسماء.

ومِن هنا يتبين خطأ الباحثة وجيهة السطل ومن تابعها في أن الزجاج قد امتاز بفصل الصفات عن الأسماء، وجعلها في باب مستقل في منهج مطرد[٢].

٣– مصادره: لم يذكر الزجاج شيئًا مِن مصادره التي اعتمد عليها؛ لأنه جرَّد كتابه مِنَ المقدمة، كما ذكرنا.

غير أنه صرَّح بذكر الأصمعي في ثلاثة مواضع فقط[٣]، ولا شك في اعتماده على الأصمعي في كتابه كله، ونقل عنه بالنص دون تغيير ولا عزو في

(1) ص ٢١ بتصرف.
(2) التأليف في خلق الإنسان من خلال معاجم المعاني، ص ٧٢، ومعجم المعاجم ص ٦٤.
(3) ص ٢٤، ٣٧، ٥٥.

أبواب كثيرة[1].

ولقد أفاد الزجاج مِن ثابت ولم يصرح باسمه – وقد يكون لكوفيته أثرٌ في إغفال ذكره.

٤- **شواهده:** لقد جرَّد الزجاج كتابه مِنَ الشواهد كلها إلا بيتين مِنَ الشعر فقط، نسبهما[2].

٥- **ألفاظه:** لم يخدم كتاب الزجاج بفهارس لألفاظه، وقد أحصيتها فألفيتها قد بلغت (٥٨٠ لفظًا).

ولقد قمتُ بمقارنتها بكتابي الأصمعي وثابت، فوجدت أن الزجاج قد فاته الكثير مِنَ الألفاظ، بالرغم مِن تأخره عنهما، واعتماده على كتاب الأصمعي، ولولا خشية الإطالة لذكرت ثبتًا بهذه الألفاظ التي أهملها الزجاج:

ومع كثرة ما أهمله مِن ألفاظ، إلا أنه زاد ألفاظًا لم نجدها عند الأصمعي وثابت، فمما زاده على الأصمعي: شعث، والصمم، والبُلْدَة، والغطس، والقَلَح، واللُّكنة، والعجمة، والغَيْلَم...

ومما زاده على ثابت: الغَيْلم، والكشف، والسَّكَك، والحزابية.

٦- **طريقته في الشرح:**

إن أبرز ما يُميز منهج الزجاج في الشرح: التزامه منهجًا وسطًا بين الإيجاز والإطناب؛ حيث يذكر اللفظة مِن أعضاء الإنسان، اسمًا كانت أو صفة، ثم يُردفها بمعناها بأقصر عبارة ما أمكنه ذلك، ثم ينتقل إلى أخرى، وهكذا دون أن يثقل كتابه بذكر الشواهد والأقوال كما فعل الأصمعي وثابت إلا في القليل النادر.

وإنك لتستطيع أن تعمم الحكم على منهجه هذا في الكتاب كله.

٢- وقد يُشير في أثناء ذلك إلى الأقوال، أو اللغات المختلفة، كقوله: «اليَأْفُوخ ... ويُسميه بعض العرب: النَّمَغَة... وفي الجمجمة القبائل... ويقال لها:

---

(١) ينظر: ص ٢٥، ٣٣، ٥٣، ٥٥، ٨٥، ٨٨، والكتاب كله صالح للمقارنة.
(2) ص ٣١، ٣٩.

الشؤون، والواحد شأن، ويقال: إن الدمع يجري منها»[١].

٣– وقد يذكر في أثناء شرحه بعض الظواهر اللغوية؛ كالجمعَ والإفراد والتذكير والتأنيث والمقصور ونحوه، كالمثال السابق، وقوله أيضًا: «الساق مؤنثة... والفحا مقصور غير مهموز»[٢].

خامسًا: كتابا ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، وهما:

أ– مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، تحقيق: فيصل دبدوب، نُشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٧م رمضان ١٣٨٦ هـ، المجلد (٤٢)، الجزء الأول.

ب– كتاب استعارة أعضاء الإنسان، تحقيق: د. أحمد خان، نشر مجمع البحوث الإسلامية بإسلام أباد في باكستان ضمن كتاب المورد: «نصوص في فقه اللغة». وكان قد نشره محققه في مجلة المورد العراقية في العدد الثاني من المجلد الثاني عشر سنة ١٩٨٣ م.

وهذا الكتاب الأخير لا يتعلق بموضوعنا كثيرًا؛ لأن مؤلفه لم يجعل الغاية منه حصر أعضاء الإنسان وبيان أجزائها؛ فقد أفرد لها كتابًا مستقلًّا، وإنما أراد منه كما يدل عليه عنوانه: «ذكر ما استعملته العرب في كلامها وأشعارها مِن استعارة أعضاء الإنسان في غير خلق الإنسان»[٣].

ولذا فلن أقف عند هذا الكتاب طويلًا، بل سأوجز الحديث عنه بما يلي:

أ– موجز بمنهج ابن فارس في كتاب استعارة أعضاء الإنسان:

١– مهَّد لكتابه بمقدمة موجزة قال فيها بعد البسملة وحمد الله والصلاة على

(1) ص ٢٢ بتصرف.
(2) ص ٦٢. وينظر نماذج أخرى: ص ٣١، ٤٢، ٤٨، ٤٩، ٥١.
(3) الكتاب ص ٤٨.

رسوله: «قال أحمد بن فارس: هذا ذكر ما استعملته العرب في كلامها وأشعارها مِن استعارة أعضاء الإنسان في غير خلق الإنسان، ذكرناه موجزًا مِن غير إسهاب ولا إطالة»[١].

٢- رتَّب رسالته ترتيبًا عضويًّا بدأ فيه مِنَ الرأس، مرورًا بالوجه والصدر والبطن والقلب والساق والقدم، وانتهاء بالعقِب.

* وهو يذكر العضو عنوانًا لما سيورد تحته مِن معانٍ مجازية، ولا يفسر هذا العضو حتى لو كان غامضًا، ويستشهد على تلك المعاني المجازية بما يحضره مِن شواهد شعرية، وقرآن، وحديث، وكلام العرب.

ومثال ذلك: قوله: «وفي الرأس الفَرْوة. والفروة التي تلبس. والفروة أرض بيضاء غير مشغولة، ومنه الحديث: إن الخضر جلس على فروة مِنَ الأرض فاخضرت. قال الكميت:...»[٢].

٣- وهو في أثناء ذلك يذكر أقوال العلماء، كأبي عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ)، والنضر بن شميل (٢٠٣ هـ)، وأبي عبيدة (٢٠٩ هـ)، وابن الأعرابي (٢٣١ هـ)، وابن دريد (٣٢١ هـ)، وغيرهم[٣].

٤- كما يذكر أحيانًا الإفراد والجمع؛ كقوله: «العُنُق: وهي الجماعة من الناس... والجمع أعناق»[٤].

٥- وإذا كان المعنى المجازي معروفًا لم يشرحه، واكتفى بقوله: معروف، كقوله: «وفي الفم اللسان، ولسان الميزان معروف، وكذا لسان النار»[٥].

---

(1) الكتاب ص ٤٨.
(2) ص ٤٩، ٥٣.
(3) ص ٤٨، ٤٩، ٥٣، ٥٤، ٦١، ٦٣.
(4) ص ٥٥ بتصرف. وينظر: ٤٩، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠.
(5) ص ٥٤. وينظر: ص ٥٠، ٥١، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٣.

ب- مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ):

وقد نُسبه إليه في بغية الوعاة[١]، وكشف الظنون[٢].

وفي مقدمة المؤلف ما يُثبت نسبتها إليه.

وهي مقالة قصيرة تقع في عشر صفحات فقط، حققها د/ فيصل دبدوب، ونشرها في مجلة المجمع العراقي، كما سلف.

- **منهج ابن فارس في مقالته:**

١- **مقدمة المقالة:** ابتدأ ابن فارس مقالته هذه بمقدمة قصيرة بَيَّن فيها غرضه مِن تأليف المقالة وأهميتها، فقال بعد البسملة والحمد لله والصلاة على رسول الله: «قال أبو الحسين أحمد بن فارس – رحمه الله تعالى: هذا ما يجب حفظه على المرء مِن خلق الإنسان، فقد نرى مَن تعمق في غريب الكلام ووحشيه، وإذا أراد الإخبار عن عضو مِن أعضائه بوجع يعتريه فيه، أومأ إليه باليد قصورًا عن معرفة اسمه، وهذا قبيح»[٣].

ثم مهَّد للدخول في صلب موضوعه بمدخل يُسميه البلاغيون حسن التخلص قال فيه: «ثم اعلم أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام مِنَ الطين أبيضه وأحمره وأسوده، فلذلك اختلفت ألوان ولده، ومِنَ الماء عذبه ومُره ومِلحه، فلذلك اختلفت الأخلاق، فأول أعضاء الإنسان مِن جهة العلو رأسه»[٤].

٢- **طريقته في ترتيب الكتاب:** لقد اتبع ابن فارس الترتيب العضوي المتدرج

---

(١) (١/ ٣٥٢).
(٢) (٢/ ٧٢٢).
(3) ص ٢٤٥.
(4) ص ٢٤٥.

مِن جهة العلو إلى السُّفل قائلًا: «فأول أعضاء الإنسان مِن جهة العلو رأسه، وأول ما في الرأس الشعر» ، ثم انطلق بعد ذلك في ذكر بقية أجزاء الجسم، حتى وصل إلى القدمين.

– وختم حديثه عن الأعضاء بعضو الرجل وأنثييه، ثم ذكر ما يكون للمرأة دون الرجل.

– وأنهى المقالة بما يقال لشخص الإنسان، ومراحل عمره، فانتهى بما ابتدأ به الأصمعي وثابت.

– ثم ختم كتابه بقوله: «وهذا أوجز ما يُقال في خلق الإنسان. والله أعلم بالصواب».

– ويلحظ على ابن فارس أنه أخَّر ما يخص الرجل والمرأة إلى آخر المقالة، وهذا مُخالف للترتيب العضوي التنازلي، كما أنه خالف الأصمعي وثابت بختمه مقالته بما ابتدآ به كتابيهما.

– كما يُلاحظ عليه أيضًا تركه ذكر الصفات عند المنكب فما دونه، واقتصاره في ذكر الصفات على ما فوق ذلك.

٣– مصادره: لم يذكر ابن فارس مصدرًا واحدًا اعتمد عليه، ولعل سبب ذلك أنه اختصر كتابه أشد الاختصار؛ غير أني وجدت تطابقًا بين بعض نصوصه ونصوص ثابت؛ كقوله: «والخِنَّابَتَان: حرفا المنخرين عن يمين وشمال»[١].

وعند ثابت: «الخِنَّابتان، وهما: حرفا المنخرين من يمين وشمال»[٢]. ولا يبعد أن يكون نظر فيه.

٤– شواهده: لقد جرَّد ابن فارس كتابه مِنَ الشواهد، وعذْرُه في ذلك رغبته في الاختصار والإيجاز.

---

(1) المقالة ص ٢٤٨.

(2) ص ١٤٧.

٥- **ألفاظه:** لقد أحصيت الألفاظ عند ابن فارس، فألفيتها بلغت (٨٠٧ ألفاظ) ما بين اسم وصفة؛ ولشدة اختصاره فاته مِن أعضاء الإنسان الشيء الكثير، تركتها لكثرتها:

ومع كثرة ما أهمله إلا أنني وجدت عنده ألفاظًا ليست عند الأصمعي، ولا عند ثابت والزجاج، ومنها: المُطْعِمان، وهما الشدقان. والأدْلَه مِن الشفاه. والبَاتِع من الشفاه. والخليقات، وهي جلدة النِّطع. والجِرَان. والأَخْيل الذي فيه خيلان. والخنَّار في الأذن. والزنيقر ما أحاط بالظفر. والنَّاقُ: الخط الذي تحت الإبهام. والنعامة خط في أسفل القدم. والشَّظِيّة العظم في الساق.

٦- **طريقته في الشرح:**

اتخذ ابن فارس في شرحه منهجًا واحدًا مطردًا، قائمًا على الإيجاز ما أمكنه:

١- فهو يذكر الاسم مِن جسم الإنسان أو صفته، ثم يُفسر معناه بأقصر عبارة، إما بذكر مرادفه، أو بوصفه، أو بتحديد موضعه، أو بذكر محل استعماله؛ كأن يقول: «وجلدة الرأس هي الفروة... والجبهة: ما استقبلك مِن مقدم الرأس مما لا شعر فيه، والجبينان: هما عن جانبي الجبهة»(١).

وقوله: «والعضد والعاتق موضع الرداء، والمِعْصَم موضع السوار»(٢).

٢- غير أن رغبته في الاختصار لم تمنعه مِنَ الإشارة إلى بعض المسائل اللغوية، كالتذكير والتأنيث، والإفراد والجمع، ونحو ذلك، كقوله: «والعنق: مذكر ومؤنث»(٣). وقوله: «والشّعب: الذي يجمع بين كل قبيلتين شأن، وجمعه شؤون»(٤).

---

(1) المقالة ص ٢٤٦، ٢٤٧. لتصرف.
(2) ص ٢٥١.
(3) ص ٢٥١. وينظر: ص ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩.
(4) ص ٢٤٦.

٣- وقد يذكر خلافًا في مسألة ما؛ كقوله: «ورأس الذي يلي أصل الخِنْصر يقال له: الكوع، ورأس الزَّنْد الذي يلي الإبهام هو الكُرْسُوع، وقيل: بل هو على القلب»[١].

٤- وربما ذكر عدة بعض الأشياء، كقوله: «وفي الصدر اثنا عشر ضلعًا... وفي الظهر أربعة وعشرون فِقْرة»[٢].

سادسًا: كتاب خلق الإنسان لأبي عبد الله الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ):

- **نسبة الكتاب وتحقيقه:**

لم يذكر كل مَن ترجم للخطيب الإسكافي هذا الكتاب ضمن كتبه، كما لم يذكره حاجي خليفة في كشف الظنون، ولا صاحب معجم المعاجم، ولا حسين نصار في المعجم العربي.

وقد حقق كتاب الإسكافي خضر عواد العكل، وأفاد أنه كُتب على صفحة عنوان الكتاب نسبته إلى الإسكافي.

وقدم المحقق للكتاب دراسة مختصرة جدًّا، وصنع له فهارسَ متعددةً، وقد بلغت صفحات الكتاب المحقَّق (١٤٥ صفحة).

- **منهج الإسكافي في كتابه:**

١- مقدمته: لم يبدأ المؤلف كتابه بمقدمة سوى البسملة، والحمد لله، والصلاة على رسول الله، ثم مهَّد للحديث عن أعضاء الإنسان بالحديث عن مراحل عمر الإنسان منذ ولادته إلى أن يكون عجوزًا، أتبعه بالحديث عن أسماء جملة خلق الإنسان، ثم شرع بالحديث عن أعضاء الإنسان.

٢- طريقته في ترتيب الكتاب: لقد رَتَّب الإسكافي كتابه ترتيبًا عضويًّا كأكثر مَن أَلَّف في خلق الإنسان، مبتدِئًا بالرأس ومنتهيًا بالقدم.

---

(1) ص ٢٥١، وينظر: ص ٢٤٧، ٢٤٩.
(2) ص ٢٥٢، ٢٥٣، بتصرف وينظر: ص ٢٥١.

وقد وضع أسماء أعضاء الإنسان تحت أبواب، لكل عضو منها باب، وهو تارة يُعَنْوِن بالباب فيقول: (باب الأذن، وباب القدم)، وتارة يجعل اسم العضو عنوانًا، فيقول: الرأس، العين... وهكذا.

– حاول الإسكافي أن يفرد الصفات في أبواب مستقلة في أول الكتاب، فوضع بابًا لصفات الرأس، ثم قلة الشعر، وألوان الشعر. ثم جعل بعد ذلك الصفات في آخر حديثه عن الأعضاء دون أن يفردها بباب مستقل. وقد اطرد منهجه في هذا إلا في باب الوجه، فقد بدأه بصفاته ثم ختمه بأجزائه.

٣– مصادره: لم يذكر الإسكافي مصدرًا واحدًا في كتابه، عَلمًا كان أو كتابًا، عِلْمًا بأنه أفاد مِن ثابت إفادة ظاهرة، ومَن يقابل بين الكتابين يجد نصوصًا متطابقة كثيرة، كما في باب اللحى، وباب الجوف وغيرهما(١).

ومع هذا النقل الذي لا يعتريه الشك، إلا أنه لم يشر إلى ثابت من قريب ولا بعيد.

٤– شواهده: لم يستشهد الإسكافي إلا بالشعر فقط، وقد استشهد بسبعة وعشرين بيتًا، نسب بعضها(٢)، وأعرض عن بعض(٣).

٥– ألفاظه: لقد أحصيت الألفاظ عند الإسكافي، فألفيتها بلغت (١١٠٥ ألفاظ). ومع هذا العدد الوافر من الألفاظ التي فاق فيها الأصمعي، واقترب فيها مِن ثابت، إلا أنه كغيره قد أهمل ألفاظًا كثيرة رغم اعتماده على كتاب ثابت.

– غير أن الإسكافي لم يقتصر على ما ذكره ثابت مِن ألفاظ، بل أضاف ألفاظًا أخرى ليس لها وجود عند ثابت ولا الأصمعي، أحصيت منها ثلاثين لفظة، منها:

---

(1) ينظر: كتاب الإسكافي (ص ٩٣ – ٩٥، ١٢٧، ١٣٢)، وكتاب ثابت (١٩٢، ١٩٧، ٢٦١، ٢٧٢)، وغير ذلك كثير.

(2) ص ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٧٠، ١١٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٢.

(3) ص ٧٦، ١١٦، ١٢٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٩، ١٦١، ١٧٢.

المنفوس ص ٣١، والصَّدِيغ ص ٣١، ومراهق ص ٣٤، وصَتْم ص ٣٥، وملهوز ص ٣٥، والصاقور ص ٤٢ وغيرها.

٦- **طريقته في الشرح:** امتاز الإسكافي في شرح ألفاظه بأنه نحا منحى وسطًا بين الإيجاز والاستطراد، وإن كان ميله إلى الإيجاز أكثر، فهو يذكر اللفظة ويفسر معناها تفسيرًا واضحًا موجزًا، وإن استدعى المقام ما يزيد في وضوح المعنى مِنِ استشهاد وذكر أقوال وفوائد متصلة بالمفردة، ذكر كل ذلك بإيجاز[١].

- وقد يذكر بعض المسائل اللغوية باختصار؛ كالاشتقاق، والترادف، والقلب، والإبدال، والمفرد، والجمع[٢].

سابعًا: خلق الإنسان في اللغة لأبي محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن (أواخر القرن الرابع – أوائل القرن السادس):

- **نسبة الكتاب وتحقيقه:** أبو محمد الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن، مؤلف مجهول الهوية، ولولا العثور على كتابه هذا ما عرف، فلم يترجم له أحد مِنَ المتقدمين أو المتأخرين، وكذلك حال كتابه؛ حيث لم يشر إليه أحد ممن أحصى كتب خلق الإنسان من المعاصرين.

وقد ذكر محقق الكتاب أنه عثر على مخطوط الكتاب في (خزانة مراد ملا) مصادفة، ضمن مجموع حوى عددًا مِن مؤلفات الصغاني منسوبًا إلى الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن، وقد زاد يقينه حينما ختم الكتاب بهذه النسبة، والكتاب بتحقيق د. أحمد خان، راجعه وزاد في حواشيه مصطفى حجازي، وهو مِن منشورات معهد المخطوطات العربية.

وقد قدّم المحقق لهذا الكتاب دراسة مقتضبة وبلغ عدد صفحاته مائتين وثلاثًا وسبعين صفحة، عدا مقدمة التحقيق والفهارس.

---

(1) ينظر: ٦٣، ٨٦، ١٢٢، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٥، ١٧١.
(2) ينظر: ص ٣٠، ٣٦، ٦٢، ٦٤، ٧٠، ١٤٠، ١٤١، ١٤٦، ١٦٤.

• **منهج المؤلف في الكتاب:**

١– **مقدمته:** لقد صدَّر المؤلف كتابه بمقدمة ضافية بيَّن فيها دافعه إلى تأليف الكتاب ومنهجه فيه، فذكر أنه ألَّفه لأحد الوجهاء لما رأى منه إعجابه بهذا النوع مِن العلم.

– ثم ذكر أنه رتبه على حروف المعجم، وخصه بالأعضاء دون الصفات، وأنه يذكر ما للعضو الواحد من أسماء كلًّا في موضعه وتحت بابه.

– كما ذكر أيضًا عنايته ببيان المذكر والمؤنث، وإعراب المشكل، والاستشهاد بالشعر، وإيراد كلام جالينوس.

– كما بيَّن أنه لم يراعِ في التأليف الحرف الزائد والأصلي لئلا يصعب تناوله.

– وأنه يعزو الأقوال غير المجمع عليها إلى أصحابها.

٢– **طريقته في ترتيب الكتاب:** لقد أوضح الحسن طريقته في ترتيب مادة كتابه إيضاحًا تامًّا في مقدمته فقال: «أذكر فيه كل ما في جسد الإنسان مِن عضو أول حرف مِن اسمه ألف، وكل ما أول حرف من اسمه باء، وتاء، وثاء، ثم نجري ذلك على ترتيب حروف المعجم إلى آخرها، حتى آتي على سائر الأعضاء، وغير الأعضاء مما يشتمل عليه الجسد، ويتعلق به؛ كالدم والمخ والشعر، وما أشبه ذلك».

ولم يراعِ المؤلف الترتيب الداخلي للكلمات حسب حروف المعجم، بل حشدها دون مراعاة لترتيب الحرف الثاني والثالث[1]، **وقد قسم كل باب مِن كتابه إلى ثلاثة أقسام:**

١– ما يشترك فيه الرجال والنساء من الأعضاء.

٢– ما يختص به الرجال دون النساء.

٣– ما تختص به النساء دون الرجال.

(1) ينظر مقدمة المحقق ص ١٢.

ولقد أعطى المؤلف صورة واضحة لطريقته في ترتيب الكتاب لا تحتاج إلى مزيد إيضاح.

٣- **مصادره:** لم يذكر المؤلف في مقدمته مصادره التي اعتمد عليها رغم حرصه على شرح منهجه بتفصيل تام، إلا أنه ذكر أنه سيعزو الأقوال المختلف فيها إلى أصحابها.

وقد تناثر في أثناء الكتاب عددٌ مِن أسماء الكتاب التي اعتمد عليها، وعدد كبير مِنَ العلماء الذين أفاد منهم، وقد أحال على ذلك كله(١).

٤- **شواهده:** لقد كثرت شواهد الحسن بن عبد الرحمن، وتنوعت، فشملت القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، وأمثال العرب.

وقد كان للشعر نصيبُ الأسد منها؛ حيث بلغت زهاء (٥٨٥ بيتًا)، يليه الحديث الشريف؛ حيث استشهد بـ: (٧٦ حديثًا وأثرًا).

أما القرآن الكريم فبلغت شواهدُه منه (٣٣ آية).

وأما الأمثال فلم يستشهد إلا بسبعة فقط(٢).

والحسن بن عبد الرحمن ينسب شواهده الشعرية أحيانًا(٣)، ويدعها أحيانًا(٤).

٥- **ألفاظه:** لقد بلغت ألفاظ أعضاء الإنسان عند الحسن بن عبد الرحمن (تسعمائة وخمسة وخمسين لفظًا)، مع أنه أهمل كل الصفات، واقتصر على أسماء أعضاء الإنسان وما في حكمها.

ومِن هنا فلا نعجب حينما نجد عنده مِنَ الألفاظ ما ليس عند غيره.

---

(1) ينظر: فهرس الأعلام، وفهرس الكتب المذكورة في الكتاب ص ٤١٦.

(2) ينظر شواهد الكتاب في فهارسها الخاصة.

(3) ينظر: ٤٩، ٥٣، ٦٢، ٧٠، ٨٥، ٩٩، ١٢٧، ١٥٣، ١٩٥، ٢٠٢، ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٨٦.

(4) ينظر: ٤٩، ٥٣، ٦٢، ٧٠، ٨٥، ٩٩، ١٠٩، ١٢٧، ١٥٣، ١٨٢، ٢٣١، ٢٨٦.

ولقد وزانتُ بينه وبين ثابت، كونه يوازيه في السَّعة، فوجدته ذكر ألفاظًا كثيرة أهملها ثابت، أحصيت منها ثلاثًا وثمانين لفظة. لا يسع المقام لذكرها، منها: أرم، وأزر، وبؤبؤ، والثعلبة، والجأش، والحرقدة، والسنور، والعصفور، والكراديس، والهلال... إلخ.

٦- طريقته في شرح الكتاب:

لقد أفصح الحسن رحمه الله في مقدمته عن شيء مِن منهجه في الشرح كما سلف.

ولقد نهج الحسن منهجًا فريدًا في شرح ألفاظ كتابه زاد فيه على كل مَن ألف في خلق الإنسان، وإن تابعهم مِن حيث النسق العام.

ومِن مظاهر منهجه في الشرح ما يلي:

١- ذكر اللفظة وتفسيرها ببيان معناها والاستشهاد لها بالشعر وغيره بشاهد أو أكثر، وقد يشرح غريب الشعر[١].

٢- شرحه معنى البيت الإجمالي[٢]، وذكره روايات البيت الأخرى[٣]. وهو بهذا شديد الشبه بثابت، فالأصمعي.

ولَعُه بذكر بعض القضايا اللغوية، والبلاغية، كالاشتقاق[٤]، والترادف، والأضداد[٥]، والإفراد والتثنية، والجمع[٦]، والتذكير والتأنيث[٧]،

---

(1) ص ١٦٥، والكتاب كله شاهد.
(2) ينظر: ص ٤٩، ٥٥، ٦٠، ٧٣، ٩٨، ١٠٤، ١٢٠، ١٢٦، ١٦٠، ١٩١، ١٩٣، ٢٧٤.
(3) ينظر: ص ٦٦، ٨٥، ١٤٠، ١٤١، ١١٩، ١٦٩، ١٧٨، ١٩٦، ٢٠٦، ٢٣٨، ٢٤٦.
(4) ينظر: ص ٥٢، ٥٩، ٦٠، ٧٥، ٩٢، ١٠٨، ١١٨، ١٢٩، ١٣٥، ١٤٣، ١٥٥، ١٧٩، ١٨٧، ٢٠٢، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٥٧، ٢٦٦، ٢٧٦.
(5) ينظر: ٧٦، ٨١، ٨٥، ٩٣، ٢٠٦، ٢١٥.
(6) ينظر: ٢٨، ٤٩، ٥١، ٥٤، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٦٥، ٧٢، ٧٥، ٨١، ٨٦، ٩٣، ٩٨، ١٠١، ١٠٦، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٥، ١٥٢، ١٨٣، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٦٤، ٣٠٥.
(7) ينظر: ٥٢، ٥٨، ٦٤، ٨١، ٩٣، ١٠١، ١٣٠، ١٥٣، ١٦٠، ١٨٠، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٣٤، ٢٤٣، ٢٦٤، ٢٨٣.

والمقصور والممدود[١]، والتشبيه[٢]، والكناية[٣]، فاق فيها غيره.

٣- ذكره ما يخص الحيوان أو يشترك فيه مع الإنسان[٤].

٤- حرصه على تتبع الأقوال المختلفة، وقد عُني بهذا عناية شديدة[٥].

٥- عنايته بذكر لغات العرب عناية مفرطة، ناسبًا كثيرًا منها إلى أهلها؛ كتميم[٦]، وسليم[٧]، وأهل العالية[٨]، وأهل اليمن[٩]، وبني النضير[١٠]، وهذيل[١١]، والحجاز[١٢].

٦- عنايته بالاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف عناية ملحوظة فاق كل مَن ألف في كتب خلق الإنسان.

أما ما امتاز به الحسن على غيره ممن ألف في خلق الإنسان، فأظهره ما يلي:

١- ذكر القضايا النحوية والتصريفية، حيث يبسط الحديث عن تلك المسائل بما لا تجد نظيره إلا عند النحويين والصرفيين في كتبهم، وسأفرد لذلك مبحثًا[١٣].

---

(1) ينظر: ١٧٨، ٢٠٤، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٨٩، ٣٠٣، ٣٠٧.
(2) ينظر: ٨٧، ١٠٤، ١٤١، ١٦٤، ١٦٧، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٥٧.
(3) ينظر: ٩٥، ١٠٥، ١٤٤، ١٥٩، ١٦٢، ٢٠٣، ٢٦١.
(4) ينظر: ٧٠، ٧٤، ٧٧، ٩٣، ١٢٩، ٢٦٩.
(5) ينظر: ٥٠، ٥٥، ٦٥، ٧٥، ٨٠، ٨٥، ٩٢، ٩٩، ١٠٠، ١٠٦، ١١٧، ١٢٥، ١٣٨، ١٤٠، ١٥٧، ١٦٦، ١٧٠، ١٨٠، ١٩٦، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٤٣، ٢٥١.
(6) ص ٥٠، ١٤٢، ١٨٢.
(7) ص ١٦١.
(8) ص ١٤٢.
(9) ص ١٧٩، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣١١.
(10) ص ١٧٩.
(11) ص ٢٣٥.
(12) ص ٢٣٧.
(13) ينظر نماذج في المسائل النحوية: ص ٥٦، ٦١، ٦٢، ٧٠، ٨٢، ٨٥، ١١٥، ١٩٩، ٢٢٠، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٨٤. ونماذج أخرى في المسائل التصريفية: ص ٥٠، ٦٤، ٧٥، ٨١، ٨٥، ١٠٧، ١٢٦، ١٣١، ١٤٤، ١٥٦، ١٦٣، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٢٠، ٢٣٥، ٢٥٥، ٢٦٩، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣١٩.

٢- ذكره كثيرًا من القضايا اللغوية التي لم يتعرض لها غيره ممن ألف في خلق الإنسان؛ كبيان الحقيقة مِنَ المجاز(١)، والتوسع(٢)، وحكاية الأصوات(٣).

٣- إشارته إلى ما ليس في كلام العرب. وقد عُني به عناية ظاهرة(٤).

٤- عنايته بكلام جالينوس طبيب اليونان عناية شديدة، حتى إنه صرَّح بذلك في مقدمته، وعقد له فصولًا مستقلة، وتناثرت أقواله في مواضعَ كثيرةٍ(٥).

٥- عنايته بقاعدة كتابة الألف المتطرفة، كقوله: «الحشا مقصور يُكتب بالألف؛ لأن تثنيته حشوان، وأجاز بعضهم كتابته بالياء»(٦).

٦- الاستطراد بذكر بعض أخبار العرب والملوك، ومناظرات العلماء، ومجالسهم(٧).

**

ثامنًا: غاية الإحسان في خلق الإنسان لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ):

- **نسبة الكتاب وتحقيقه:** الكتاب صحيح النسبة إليه، فقد نسبه إليه حاجي خليفة(٨)، وإسماعيل البغدادي في هدية العارفين(٩)، وقد ذكر محققه د. نهاد حسوبي أن اسمه مثبت في صفحة عنوان المخطوطتين اللتين اعتمد عليهما. كما أن السيوطي صرح باسمه في مقدمته حينما قال: «وسميت هذا التأليف: غاية الإحسان في خلق الإنسان».

---

(1) ص ٦٠، ٨٨.
(2) ص ٥٦، ٢٤١.
(3) ص ٩٢، ١٢٣، ٢٤١، ٢٦٥.
(4) ص ١١٦، ١٥٨، ١٨٢، ١٨٦، ١٩٥، ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٧٥، ٣١٩.
(5) ص ٧٨، ٨٠، ١٢٠، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٥، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ٢٠٩.
(6) ص ١٠٦، ١٣٥، ١٧٨، ٢٣٤، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٨٢، ٢٨٧.
(7) ينظر: ص ١١١، ١٦١، ٢٤٥، ٢٤٧.
(٨) ٢/ ١٨٨.
(٩) ١/ ٥٤٠.

وقد حقِّق الكتاب مرتين:

الأولى: بتحقيق الدكتور نهاد حسوبي صالح، نشر وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

وقد قدّم للكتاب بدراسة ضافية لكتب خلق الإنسان، وكتب الفرق، ومنهج السيوطي في الكتاب، غير أنه لم يضع للكتاب فهارس البتة! وقد وقع القسم المحقق من الكتاب في مائة وثلاثين صفحة.

أما الثانية فهي بتحقيق مرزوق علي إبراهيم، نشر دار الفضيلة بالقاهرة، واعتمد فيه على خمس نسخ خطية.

وقد قدم للكتاب دراسة مختصرة، ترجم فيها للسيوطي وعَرَّف بمنهجه، ثم تحدث بإيجاز عن تراث خلق الإنسان، والكتب المؤلفة فيه.

وقد صنع للكتاب فهارسَ متعددة، وبلغ حجم الكتاب المحقق (١٥٠ صفحة) من ص ٧١ -٢٢١.

وقد وازنت بين التحقيقين فألفيت الثاني منهما أضبط وأتقن عملًا.

- **منهج السيوطي في الكتاب:**

١- مقدمته: لقد استهل السيوطي كتابه بمقدمة ضافية بيَّن فيها أهمية الموضوع، وجهلَ الناس بمعرفة أعضاء الإنسان، وذكر سببَ تأليفه، ثم ذكر مصادرَه التي اعتمد عليها، وختمها ببيان منهجه في الكتاب.

٢- طريقته في ترتيب الكتاب: لقد سار السيوطي في تصنيف كتابه على الترتيب العضوي التنازلي الذي سار عليه معظم مَنْ ألَّف في خلق الإنسان الذي يبدأ بالرأس وينتهي بالقدمين.

- وقد أبان السيوطي عن ترتيبه في المقدمة بقوله: «وقد بدأت أولًا ببابٍ في أسماء جملة الإنسان، ثم بوبت لكل عضوٍ مِن أعضائه بابًا، وأُصدِّر في كل باب بالأسماء، ثم أختم بالصفات. والله المعين».

– وقد بدأ السيوطي بأول عضو في الإنسان وهو باب الرأس، وذكر تحته كل ما فيه مِن أجزاء، ثم انتقل إلى صفات الرأس وعقد لها فصلًا.

ثم تتابعت أعضاء الإنسان وصفاته، يضع للعضو بابًا ولصفاته فصلًا إلى نهاية الكتاب.

٣– مصادره:

لقد امتاز السيوطي في كتابه بكثرة مصادره من الرجال والكتب وتنوعها.

أما مصادره من الكتب، فقد قال في المقدمة: «ففحصت عن الكتب المؤلفة في ذلك، فظفرت منها بعدة كتب: كتاب خلق الإنسان، لأبي جعفر النحاس، وكتاب خلق الإنسان لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت، وكتاب خلق الإنسان لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، وكتاب خلق الإنسان لأبي القاسم عمر بن محمد بن الهيثم العصافي، وكتاب خلق الإنسان لمحمد بن حبيب، وكلٌّ يزيد على الآخر. فجمعت ما في هذه الكتب وزدت على ذلك أضعافه مِن كتب شتى»[١].

ومِن أهم الكتب التي اعتمد عليها كثيرًا كتاب القاموس للفيروزآبادي، ثم الجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهري، وفقه اللغة للثعالبي، والمجمل لابن فارس، والمحكم لابن سيده، وغيرها كثير.

أما مصادره مِنَ الرجال، فقد ترددت أسماء طائفة من العلماء، في طليعتهم: أبو عمرو بن العلاء، والكسائي، وقطرب، والفراء، وأبو عمرو الشيباني، وأبو زيد، والأصمعي، وأبو عبيد، وابن الأعرابي، والمبرد، والزجاج، والنحاس، وغيرهم.

٤– شواهده: لم تكن شواهد السيوطي بحجم سَعة كتابه وقيمته، فلم يستشهد السيوطي مِنَ القرآن إلا بآية واحدة فقط[٢]، ومن الأمثال مثل ذلك[٣].

(1) ص ٧٣.
(2) ص ٨٧.
(3) ص ٩١.

أما الحديث الشريف فلم يستشهد به البتة.

وأما شواهده الشعرية فقد بلغت خمسة وعشرين بيتًا ما بين شعر ورجز[١].

وهو ينسب الشعر أحيانًا[٢]، ويدع نسبته أحيانًا أخرى[٣].

٥- ألفاظه: لقد توافر للسيوطي ما لم يتوافر لغيره مِن مصادر كثيرة أفاد منها، فقد ظفر بعدد مِن كتب خلق الإنسان، ونقل ما فيها، وأضاف عليها ما أفاده مِن كتب كثيرة أخرى.

- وقد بلغت ألفاظ خلق الإنسان عنده (١٤٧٥) لفظةً، ما جعله ينفرد عن غيره مِن مؤلفي خلق الإنسان بألفاظٍ كثيرةٍ، أحصيتُ منها ما يزيد على (٨٥) لفظة، غير ما تفرد به مما يخص الرجل والمرأة مِن ألفاظ كثيرة.

٦- طريقته في شرح الكتاب: لم يختلف السيوطي كثيرًا عن غيره في شرح المادة اللغوية، وطريقته على وجه التحديد وسط بين الإيجاز والإطناب، وإن كان إلى الإيجاز أقرب.

- وقد دأب السيوطي على أن يذكر العضو من الإنسان، ثم يُفسر معناه بما يُجلّي غموضه، ذاكرًا ما للعلماء فيه مِن أقوالٍ بإيجاز، وسرعان ما ينتقل منه إلى غيره.

- والسيوطي لا يُورد تلك الألفاظ ومعانيها بأسلوبه وعبارته، بل غالبًا ما ينقلها بنصها كما وردت عن أصحابها.

- ولقد ألفيته في جل كتابه يعتمد في إثراء مادة كتابه على ثلاثة مصادر أساسية، وهي كتاب النحاس، وكتاب العصافي - وهما في خلق الإنسان - والقاموس المحيط، ثم يضيف عليها ما في الكتب الأخرى مِن زيادة أحيانًا.

---

(1) ينظر: فهرس الشعر في الكتاب، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، وهو الكتاب الذي اعتمدته.
(2) ينظر: ص ٨٦، ٨٨، ٩٨، ٩٠، ٩٨، ١٠٥، ١١٣، ١٣٥، ١٤٤، ١٦٤.
(3) ينظر: ص ٨٦، ٩٠، ١٠٤، ١٥٢، ١٧١.

– ويذكر السيوطي في أثناء شرح المفردة بعض لغات العرب فيها؛ كقوله: «والمَعِدة في لغة الحجاز بفتح الميم وكسر العين، وفي لغة تميم بكسر الميم وسكون العين»[١]، كما يذكر الدخيل والمولد أحيانًا[٢].

– وقد عُنِي السيوطي بذكر بعض الظواهر اللغوية؛ كالترادف[٣]، والتذكير والتأنيث[٤]، والاشتقاق[٥]، والمقصور والممدود[٦]، والمشترك اللفظي[٧].

وكثيرًا ما يشير إلى جمع الكلمة المفردة[٨].

تاسعًا: في ذكر أعضاء الإنسان لأبي البركات بدر الدين محمد بن رضي الدين الغزي (ت ٩٨٤ هـ):

- **نسبة الكتاب وتحقيقه:** لم ينسب الكتابَ إليه أحدٌ ممن أحصى كتب خلق الإنسان مِنَ المتقدمين، وقد أكدتْ نسبته إليه د. وجيهة السطل في رسالتها للدكتوراه: «التأليف في خلق الإنسان مِن خلال معاجم المعاني ص ٩٤».

وقد كُتب على صفحة عنوان المخطوط: (كتاب في ذكر أعضاء الإنسان)، وليس عليها اسم المؤلف، غير أنه كُتب على آخر صفحة مِنَ المخطوط هذه العبارة: «وكتبه مؤلفه فقير عفو الله تعالى: محمد الغزي»[٩].

والكتاب حققه د. حاتم الضامن عن دار البشائر بدمشق، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م، وقدم له بمقدمة مقتضبة في حدود عشر صفحات، قصرها على سيرة الغزي ومنهجه في كتابه.

---

(1) ص ١٨٠. وينظر: ص ٧٧، ١٠٤، ١٢٧، ١٣٥، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٨، ١٧٣، ١٩٧.
(2) ينظر: ص ٩٠، ١٧٣، ١٩٧.
(3) ص ٧٦، ٧٧، ٧٨، ١٨٣، فما بعدها.
(4) ص ١٠٥، ١٥٩.
(5) ص ١٤٦، ٢٠٣.
(6) ص ٨٧.
(7) ينظر: ص ٨٥، ٩٢، ٩٥، ١١٤، ١١٥، ١٨١.
(٨) ينظر: ص ٨٢، ٩٦، ١٠٣، ١١٤، ١٣٥، ١٥٣، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٣، ٢٠١.
(9) المخطوط، ورقة ٣٧.

وقد درست د. وجيهة السطل في رسالتها الآنفة مِن ضمن ما درست هذا الكتاب مخطوطًا قبل طباعته، وهي دراسة جيدة، غيرَ أنها لم تستطع تمييز كتاب الغزي عن كتاب ابن حبيب الذي قام على أساسه كتاب الغزي؛ حيث تداخل عليها الكتابان.

- **منهج الغزي في كتابه:**

١ – مقدمته: بدأ الغزي كتابه بمقدمة مقتضبة ذكر فيها وقوفه على كتاب ابن حبيب وإشادته به، واستدراكه عليه ما فاته، مع زيادة في البيان والتفسير.

٢– طريقته في ترتيب الكتاب: صنَّف الغزي كتابه ورتَّبه على منهج ابن حبيب، وهو الترتيب الألفبائي مِنَ الألف إلى الياء، وجعل لكل حرف مِن حروف الهجاء بابًا: باب الألف، باب الباء الموحدة، باب التاء المثناة مِنْ فوق، باب الثاء المثلثة، باب الجيم... باب الياء.

وكان ابن حبيب قد أهمل الياء ولم يدرج تحتها ألفاظًا، فاستدركه عليه الغزي، وختم بباب الياء، وذكر فيه مِنَ الألفاظ: اليافوخ، واليد، واليربوع، واليَرُون.

والغزي لا يرتب الألفاظ داخل الباب الواحد ترتيبًا أبجديًّا ولا عضويًّا، بل يوردها كيفما اتفق.

٣– مصادره: لم يُبين الغزي في مقدمته مصادرَه التي اعتمد عليها، لكن مَن يطلع على الكتاب يظهر له بجلاء ذلك الكم الوفير مِنَ المصادر المتنوعة، سواء ما كان منها كتبًا؛ كالصحاح للجوهري، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، اللذين اعتمد عليهما كثيرًا، أو عَلمًا مِن أعلام اللغة؛ كأبي عمرو بن العلاء، والفراء، وأبي عبيدة، والأصمعي، وأبي عبيد، وابن السكيت، وابن دريد، وأبي عمر

الزاهد – وهو أكثر من نقل عنه – وآخرين أثبتهم محقق الكتاب في مقدمته[١]، وفي فهارس الأعلام[٢].

٤- **شواهده:** استشهد الغزي بالشعر والرجز كثيرًا. أما استشهاده بالقرآن الكريم، والحديث، والمثل فقليل جدًّا. وقد أحصى محقق الكتاب شواهده، فذكر أنها بلغت (٣٨ بيتًا) مِنَ الشعر، و(٤٤ شطرًا) مِنَ الرجز، أي: أن مجموعهما (٨٢ بيتًا).

أما القرآن الكريم، والحديث الشريف فبلغت شواهدهما خمسة لكل منهما.

وأما أمثال العرب فأربعة فقط.

وقد زعمت د. السطل أن الغزي اقتصر على شواهد الشعر وأقوال العرب فقط!!، وعذرها أنها تعاملت مع الكتاب مخطوطًا.

٥- **ألفاظه:** أحصى مُحقق الكتاب ألفاظ خلق الإنسان عند الغزي فوجدها بلغت (٢٦٦ لفظة)، هي ألفاظ ابن حبيب، يُضاف إليها (٤٩٧ لفظة) استدركها عليه الغزي، فبلغ مجموع ما في الكتاب مِنَ الألفاظ (٧٦٣ لفظة).

٦- **طريقته في الشرح:**

أ- يبدأ الغزي الباب بالألفاظ التي ذكرها ابن حبيب، وحيث إن كتاب ابن حبيب مختصر جدًّا، اقتصر فيه مؤلفه على تَعْداد الألفاظ فقط، فقد لجأ الغزي إلى استكمال مادته اللغوية بشرح تلك الألفاظ وتفسيرها، والاستشهاد لها ببعض الشواهد، وذكر بعض الاستعمالات اللُّغوية، والأبنية الصرفية، ناقلًا أقوال كثير مِنَ العلماء، مُصرحًا بأسمائهم أحيانًا، وأسماء كتبهم.

ب- إذا انتهى مِن شرح ألفاظ ابن حبيب استدرك عليه بقوله: «قلت: وبقي...»، ثم يذكر ما استدركه عليه مِنْ ألفاظ، مُتبعًا المنهج نفسه في الشرح والتفسير.

---

(1) ينظر مقدمة المحقق (ص ١٣).

(2) ينظر: فهرس الأعلام (ص ١٦٨، ١٦٩).

جـ- يُعنى بالضبط عناية فائقة، حتى إنه لا يكاد يدع لفظة دون أن يضبطها؛ إما بالشكل، أو بالوصف، أو بالمثال، كقوله: «الأُذن: بضمتين وبإسكان الذال المعجمة...والجمع: آذان، بهمزة، أوله ممدود... الأُداف: بوزن غُراب، هو الذكر»[١].

د- كما يُعنى بذكر بعض الظواهر اللغوية، مثل: الإفراد والتثنية والجمع[٢]، والتأنيث والتذكير[٣]، والمشترك اللفظي[٤]، والترادف[٥]، ونحو ذلك.

هـ- يذكر خلافات العلماء أحيانًا، كقوله: «البَلْدة: هي الصدر، و«قال ابن حبيب: بُلدة الصدر، قال أبو عمر: ليس لابن آدم بلدة، وإنما هي للجمل»[٦].

و- وهو يشير إلى اللغات أحيانًا؛ كقوله: «البطن: خلاف الظهر مذكَّر، وحكى أبو عبيدة أن تأنيثه لغة»[٧]. وقوله: «السُّدْغ: لغة في الصُّدغ»[٨].

ز - كما ظهرت عنايته بذكر الكليات اللغوية؛ كقوله: «وكل شيء أحاط بشيء فهو إطار له»[٩]. وقوله: «الفرضون: كل عظم رخو يُؤْكل»[١٠].

ح- وربما ذكر المعرب والمولد[١١].

ط - ختم الغزي كتابه بقوله: «هذا ما تيسر الوقوف عليه، والله الموفق بكرمه، وهو أعلم بالصواب».

---

(1) ص ٢٢، بتصرف وينظر: ص ٣٧، ٨٩، ٩٩، ١١٤، ١٣٥، ١٤٦.
(2) ص ٢٢، ٢٣، ٢٩، ٤١، ٨٠، ١٣٣، ١٤٢، ١٥٣.
(3) ص ٢٣، ٣٤، ٥٢، ٨٥، ٩٨، ١١٣، ١٢٠، ١٣٧، ١٤١.
(4) ص ١٠١، ١١٤، ١٤٠ .
(5) ص ٩٢.
(6) ص ٢٩، وينظر: ٩٨، ٩٩، ١٢٠، ١٢٥، ١٣٤.
(7) ص ٣٤.
(8) ص ٧٥، وينظر: ٢٣، ٣٢، ٨٢، ١٣٦، ١٥٣.
(9) ص ٢٦.
(10) ص ١٠٤.
(11) ص ١٩، ١٢١، ١٢٨، ١٣٨.

المبحث الثاني

الظواهر النحوية والصرفية في معاجم خلق الإنسان

لم تقتصر بعض كتب خلق الإنسان على ذكر الألفاظ الخاصة بأعضاء الإنسان وصفاته، وتحديد مواضعها من الجسم، وشرح غريبها فحسب، بل إنّ مَنْ يطلع على هذه المعجمات يجد لأصحابها عناية خاصة بإيراد كثير مِنَ الظواهر اللغوية والصرفية والصوتية والنحوية، بصورة متفاوتة فيما بينها وما بين أصحابها؛ ففي حين كانت الظواهر اللغوية والصرفية في هذه المعجمات هي الأكثر بروزًا وحضورًا؛ كانت الظواهر النحوية رغم قلتها حاضرة أيضًا.

كما أن التباين لحق مؤلفي هذه المعجمات أيضًا؛ ما بين مُقلّ ومستكثر، ومنهم مَن أخلى كتابه منها البتة؛ لاعتماده فيه على الإيجاز الشديد.

ففي حين نجد ابن حبيب يجرد كتابه مِن جميع ذلك، نجد الزجاج وابن فارس والإسكافي لم تخل كتبهم من ذكر شيء من المسائل اللغوية والصرفية، وإن لم يولوا ذلك عناية خاصة، لكن كتبهم خلت مِن تضمينٍ للمسائل النحوية.

وأكثر هؤلاء عناية بتلك الظواهر الأصمعي في كتابه، فقد وجدت له إشارات خاطفة لثلاث مسائل نحوية، يفوقه في العناية بها ثابت بن أبي ثابت، فالغزي؛ فقد كانت عنايتهما في ذكر الظواهر الصرفية خاصة، ثم النحوية أظهر، وإن غلب ثابتٌ الغزيَّ في كثرة تضمين المسائل النحوية في معجمه؛ حيث تطرق لها في ستة مواضع مِن كتابه، بينما لم أجد للغزي إلا ثلاثة مواضع فقط، كان ذكر المسائل النحوية عندهما على سبيل الإشارة والإيجاز، بينما كانت عنايتهما بالمسائل الصرفية مِن إعلال وإبدال، وقلب، وإدغام، وتصغير، ونسب، وجموع، وأوزان، وتأنيث وتذكير، ومقصور وممدود، وأبنية، وأوزان ظاهرة جدًّا.

– ولقد تفرد الحسن بن عبد الرحمن عن كل مَن ألَّف في خلق الإنسان بعنايته الفائقة بالظواهر النحوية والصرفية عناية تلفت نظر مَن يطلع على كتابه، فقد فاق غيره في ذلك بما لا يدع مجالًا للمقارنة، وإن كان نصيب الظواهر الصرفية عنده أكثر، وولعه بدقائقها أظهر، إلا أنه لم يهمل ذكر القضايا النحوية، ومناقشتها بشيء مِنَ التفصيل أحيانًا، عندما ترد مناسبة ذلك، وسأورد نماذجَ لهذه الظواهر النحوية والصرفية عند من عُني بها من أصحاب هذه المعجمات.

أولًا: الظواهر النحوية:

١– الممنوع من الصرف: اهتم أصحاب معجمات خلق الإنسان ببيان المصروف والممنوع، وبخاصة الأسماء المؤنثة والمجموعة، مِن ذلك:

– قول الأصمعي: «يقال للشيخ إذا أسنّ: قد انشنج علباؤه، وجماعه العَلابيُّ، وواحدها مصروفٌ ذَكَرٌ، بوجوه النحو يقال: رأيت علباءً حسنًا، ومررت بعلباءٍ حسنٍ، وهذا علباءٌ حسنٌ، فإذا قلت: عِلباوان، صار يجري مجرى الإناث»[(١)].

– وقال الغزي: «... وفي الصحاح: الذِّفرى من القفا: هو الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن... لا يُنون؛ لأن ألفه للتأنيث، وبعضهم يُنونه في النكرة، ويجعل ألفه للإلحاق بدِرْهَم وهِجْرَع»[(٢)].

وقد أسهب الحسن بن عبد الرحمن في بيان إعراب هذه الكلمة فقال: «الذِّفريان من العُنُق: الحَيْدان الناتئان عن يمين النقرة وشمالها، واحدتها ذِفْرى، غير مصروفة، وهو الأكثر في كلام العرب ... لأن ألفها للتأنيث ... قال ذو الرمة:

لَهَـا أُذُنٌ حَـشْرٌ وَذِفْـرَى أسـيلةٌ وَخَـدٌّ كَمِـرْآةِ الغَرِيبَـةِ أَسْـجَحُ

(1) الكنز اللغوي (كتاب خلق الإنسان) ص ٢٠٠، وينظر: ص ١٦٩، ٢١٧.
(2) ذكر أعضاء الإنسان بتصرف (ص ٦١).

ومِنَ العرب مَن يصرفها فيقول: هذه ذفرىً؛ لأن ألفها للإلحاق، ألحقتها بناء فِعْلَل، كدِرْهَم وهِجْرَع»[١].

٢- **إضافة الشيء إلى نفسه:** ذكر الزمخشري وغيرُه أن النحويين منعوا إضافة الشيء إلى نفسه[٢].

– قال الحسن بن عبد الرحمن: «الشَّاكِلتان: طفطفتا الجنبين مِن لدن القُصَيْرى إلى الحَرْقَفة ... وقال قوم: إن الشاكلة: الضلع القصيرى، والأول أصح؛ لأن القُصيرى تُسمى ضلع الشاكلة، والشيء لا يُضاف إلى نفسه»[٣].

– وقال الغزي: «النَّسَا ... عرق يخرج مِنَ الورك... الزجَّاج: لا تَقُل: عرق النَّساء؛ لأن الشيء لا يُضاف إلى نفسه»[٤].

٣- **المضاف والمضاف إليه كشيء واحد:** ذكر النحويون في كتبهم أن المضاف والمضاف إليه كشيء واحد[٥].

وهذه القاعدة ذكرها الحسن بن عبد الرحمن، وبنى عليها حكمًا؛ حيث قال: «الفم معروف، وكان الأصل فيه فَوْه ... فحُذفت لام الفعل، وهي الهاء... فأبدلوا من الواو ميمًا... فأما قول الفرزدق:

---

(1) خلق الإنسان في اللغة (١٢٩ – ١٣٠) بتصرف، وينظر: ص ٨٢، ١١٥، ١١٦، ١٩٩، وخلق الإنسان لثابت ص ١٨٥.

(2) المفصل (ص ١٢٢)، اللباب في علل البناء والإعراب (١/ ٣٩١)، والمقاصد الشافية (٤/ ٣١٧).

(3) خلق الإنسان في اللغة (ص ١٧١) بتصرف، وينظر: (ص ٣٠٧).

(4) ذكر أعضاء الإنسان (ص ١٤٢، ١٤٣) بتصرف، وينظر: خلق الإنسان لثابت (ص ١٠٤).

(5) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك (١/ ٣٠٠)، والتذييل والتكميل (٣/ ٣٤٥)، والمقاصد الشافية (٤/ ٤٢).

هُمَـا نَفَثَـا فِـي فِـيَّ مِـنْ فَمَوَيْهِمَـا عَلَـى النَّـابِحِ العَـاوِي أَشَـدَّ رجَـامِ

فزعم الخليل أنه غلط... وأما سيبويه فيرى أنّ مَن قال: دَمَوِيّ في الإضافة، فرد اللام، قال: فَمَوِيّ، فرد العين ... فإذا أضفته تركت حرف المد واللين على حاله، إن شئت؛ لأن المضاف والمضاف إليه كاسم واحد، فقلت: هذا فوك، ورأيت فاك، وعجبتُ مِن فيك» [(١)].

– وقد بَيَّن الغزي علة حذف الواو مِنَ الفم، وتعويضها بالميم بأن الواو لا تحتمل الإعراب لسكونها[(٢)].

٤– **عدم تعرف الإضافة غير المحضة:** قَسَّم النحويون الإضافة إلى إضافة محضة، وسموها معنوية، وإضافة غير محضة، وسموها لفظية، والأُولى منهما تفيد تعريفًا، بخلاف الثانية[(٣)].

قال الحسن بن عبد الرحمن: «الكَفَل: العَجُز، وجمعه: أكفال، قال زهير:

يَمْـشِين مَـشْيَ قطـا البِطـاحِ تـأوُّدًا خُمْـصَ البُطـونِ رَوَاجِـحَ الأَكْفَـالِ

نصب (خمص البطون، ورواجح الأكفال) على الحال، وإن كانا مضافين إلى معرفة لم يتعرَّفا؛ لأن إضافتهما غير محضة»[(٤)].

٥– **إقامة المضاف إليه مقام المضاف، والصفة مقام الموصوف.**

أجاز النحويون حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وخَرَّجُوا عليه كثيرًا مِنَ الشواهد[(٥)]، كما نصوا على جواز إقامة الصفة مقام الموصوف[(٦)].

---

(1) خلق الإنسان في اللغة (ص ٢٢٠) بتصرف.
(2) السابق (ص ١٠٧).
(3) ينظر: شرح التسهيل (٢/ ٦٠)، والتذييل والتكميل (٤/ ١٨٠١)، والتصريح (١/ ٦٨١).
(4) خلق الإنسان في اللغة (ص ٢٥٤).
(5) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف (١/ ٣٠٧)، وإيضاح شواهد الإيضاح للقيسي (١/ ٢٠٥)، والتذييل والتكميل (١١/ ٣٢١)، وتمهيد القواعد (٧/ ٣٢٥٠).
(6) ينظر: المسائل البصريات (٢/ ٨٣٨)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٢٩٦)، والمقاصد الشافية (٤/ ٣١)، والخزانة (٩/ ٥١٨).

وقد خرّج الحسن بن عبد الرحمن عليهما بيت أبي حية النميري:

وَلَكِـنْ لَعَمْـرُ اللهِ مَـا طَـلَّ مُـسْلِمًا كغُـرِّ الثَّنَايَـا وَاضِـحَاتِ المَلَاغِـمِ

فقال: «الواضح: الأبيض، المعنى: ما طَلَّ دَم مسلم كنساءٍ غُرِّ الثنايا، فأقام المضاف إليه مقام المضاف، وأقام الصفة مقام الموصوف»[١].

٦- **النصب على الظروف المختصة.** ذكر سيبويه وغيره أن مِنَ الأمكنة ما يُستعمل اسمًا وظرفًا؛ كخلفك، وقدَّامك، وأمامك، وتحتك، وما أشبه ذلك، نحو: هو ناحيةً مِن الدار، ومكانًا صالحًا. وحكى هم قريبٌ منك، وقريبًا منك[٢].

وقد خرّج الحسن بن أبي عبد الرحمن بيت أبي حية النميري على هذا؛ حيث قال: «المُسالان: ما انحدر مِنَ الصُّدْغَين مُسْتَدِقًّا إلى معظم اللحيين. قال أبو حية النميري يصف رجلًا ناعشًا:

إِذَا مَـا نَعَـشْنَاهُ عَلَـى الرَّحْـلِ يَنْثَنِـي مُـسَالَيْهِ عَنْـهُ مِـنْ وَرَاءٍ وَمُقْـدِمِ

معنى نعشناه: ثبتناه، ونصب (مُسالَيْه) على الظرف. وقد ذكر سيبويه هذا البيت شاهدًا فيما ينتصب من الظروف المختصة»[٣].

٧- **تأنيث الفعل وتذكيره مع الفاعل المؤنث.**

ذكر النحويون أن المؤنث الحقيقي يجب تأنيثُ فعلِه، سواءٌ تقدَّم فاعلُه عليه أو تأخر عنه، نحو: هند قامت، وقامت هند، فإن كان التأنيث مجازيًّا، نحو: طلعت الشمس، جاز التأنيث والتذكير، فيقال: طلع الشمس، وإن تأخر الفعل لزم

(1) خلق الإنسان في اللغة (ص ٢٧٦).

(2) الكتاب (١/ ٤٠٤)، والأصول (١/ ١٩٨)، والبديع في علم العربية (١/ ١٦٢).

(3) خلق الإنسان في اللغة (ص ٢٧٠)، وينظر: الكتاب (١/ ٤١٢)، والأصول في النحو (١/ ١٩٨)، وشرح كتاب سيبويه (٢/ ٣٠١)، وتمهيد القواعد (٤/ ١٩٩٦)، والمقاصد الشافية (٨/ ٢١١).

التأنيث، وقبح عندهم التذكير نحو: الشمس طلعت، وخُرِّج ما جاء منه على التذكير بوجوه[1].

وقد ذكر الحسن بن عبد الرحمن هذه المسألة، لكنَّه خرَّجها على الجواز، لا على الشذوذ والضرورة، كما خرَّجها معظم النحويين، وإنما جاء على مذهب ابن كيسان القائل بالجواز في النثر[2]؛ حيث قال: «قال عامر بن جوين الطائي:

فَـــلَا مُزْنَـــةٌ وَدَقَـــتْ وَدْقَهَـــا وَلَا أَرْضَ أَبْقَـــــلَ إِبْقَالَهَـــــا

فأتى بعلامة التأنيث في (ودَقَتْ)؛ لأن في (مُزْنَة) هاء، وحذفها مِنْ (أَبْقَلَ)؛ إذ لم يكن في (أرض) هاء»[3].

وما ذهب إليه المؤلف هنا أخذ به السيوطي في الاقتراح حيث قال: «رأيت ابن هشام قال في شرح الشواهد: رُوي قوله: «ولا أرض أبقل إبقالها» بالتذكير والتأنيث مع نقل الهمزة، فإن صح أن القائل بالتأنيث هو القائل بالتذكير، صح الاستشهاد به على الجواز في غير الضرورة»[4].

٨- الإخبار عن الشيء بغير ما هو له:

عقد أبو حيان بابًا في الارتشاف سماه (باب الحقيقة والمجاز) وقال: «لم نر أحدًا مِنَ النحويين وضع هذا الباب»، ثم ذكر منه: «الإخبار عن الشيء، ووصفه بغيره؛ كقولهم: نهارُه صائمٌ، وليلُه قائمٌ»[5].

---

(1) ينظر: شرح المفصل (٣/ ٣٦١)، وتوضيح المقاصد (٢/ ٥٩٠)، وتمهيد القواعد (٤/ ١٥٨٨)، والمقاصد الشافية (١/ ٤٩٢).

(2) تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد (ص ٨٤).

(3) خلق الإنسان في اللغة (ص ١٥١)، وينظر: ص ١٩٥.

(4) الاقتراح في أصول النحو (ص ٦٣).

(5) (٥/ ٢٣٧٣ – ٢٣٧٤).

وقد حمل كثير مِنَ النحويين ذلك على المجاز، والتوسع في الظرف بأن جعل النهار والليل فاعلين للصوم والقيام، ومنهم مَن قدر محذوفًا قبل المبتدأ، أي: صاحب نهارك، وذو نهارك صائم(١).

وقد تناول الحسن بن عبد الرحمن هذه المسألة في شرحه قول الشاعر:

وَمَطْوِيَّــةُ الأَقْــرَابِ أَمَّــا نَهَارُهَــا فَــسَبْتٌ وَأَمَّــا لَيْلُهَــا فزَمِيــلُ

فقال: «السَّبتُ والزَّميلُ: السير السريع، وهما خبرٌ عن الليل والنهار لسَعة الكلام، كما يقال: نهارُه صائمٌ، وليلُه قائمٌ»(٢).

٩– الترخيم: عرَّف النحويون الترخيم لغةً بأنه: التسهيل والتليين، يقال: صوت رخيم؛ أي: لين سهل.

واصطلاحًا: حذف آخر الاسم في النداء، وهو خاص بالنداء، ولا يرخم منه إلا ما يستحق البناء، وأما غير المنادى فلا يرخم إلا في الضرورة(٣).

وقد أورد الحسن بن عبد الرحمن في معجمه بيتًا مِنَ الشعر خرّجه على الترخيم في غير النداء، فقال: «الكف: الراحة بأصابعها، وهي مؤنثة... أما قوله – وهو الأعشى – يصف رجلًا قُطعت يده:

أَرَى رَجُــلًا مِــنْهُمْ أَسِــيفًا كَأَنَّمَــا يَــضُمُّ إِلَــى كَــشْحَيْهِ كَفًّــا مُخَــضَّبَا

فقد اختُلف في تفسيره، فقيل: الكف تُذكر وتؤنث، وقيل: إنه حذف الهاء كما يحذف في الترخيم في غير النداء، كقوله:

---

(1) المسائل الحلبيات (ص ١٨٧)، وشرح السيرافي (٢/ ٢٩٠)، وشرح المفصل (١/ ٤٣٤)، وتمهيد القواعد (٧/ ٣٣٢٥)، والمقاصد الشافية (٩/ ٤٠٨).

(2) خلق الإنسان في اللغة (ص ٢٤١).

(3) ينظر: علل النحو (ص ٣٥٠)، وارتشاف الضرب (٥/ ٢٢٢٧)، وتوضيح المقاصد (٣/ ١١٢٦)، والمقاصد الشافية (٥/ ٤٠٥).

وَهَــذَا رِدَائِـــي عِنْـــدَهُ يَـــسْتَعِيرُهُ لِيَسْلُبَنِي نَفْسِي أَمَالُ بْنُ حَنْظَلِ»[1]

١٠- معاني الحروف والأدوات:

ومن أمثلة ذلك: قول ثابت في مراحل خلق الإنسان: «فإذا خرج وجهه فهو طارٌّ... وقال الشاعر:

مِنَّـا الـذِي هُـوَ مَـا إِنْ طَـرَّ شَـارِبُهُ وَالعَانِـسُونَ وَمِنَّـا المُـرْدُ وَالـشِّيَبُ

قال ثعلب في قوله: (ما إن طَرَّ شاربه): إن (إنْ) صلة، يُكتفى بـ (ما) من (إنْ).

ويُكتفى بـ (إنْ) مِنْ (ما)، قال الشاعر:

وَإِنِّـــي مِمَّـــا أَنْ أُنِـــيخَ مَطِيَّتِـــي عَلَى الحَاجَةِ العَسْرَاءِ حَتَّى تَيَسَّرَا»[2]

- وقال الحسن بن عبد الرحمن: «سواءَ بالفتح والمد، بمعنى: غير»[3].

١١- الضرورة الشعرية: عُني الحسن بن عبد الرحمن بالإشارة إلى ما في بعض شواهده مِن ضرورة شعرية، ومِن ذلك قوله: «الجِلْدُ: غشاء الجسم كله، وحكى ابن الأعرابي أنه يُقال: جِلْدٌ وجَلَدٌ، مثل شِبْهٌ وشَبَهٌ، وليس ذلك بمعروف، وكأنه نظر إلى قول عبد مناف بن رِبْعٍ الهُذَلي:

إِذَا تَثَـــوَّبَ نَـــوْحٌ قَامَتَـــا مَعَـــهُ ضَـرْبًا أَلِيمًـا بِـسِبْتٍ يَلْعَـجُ الجَلَـدَا

... وإنما هذا عند النحويين مِن إحدى الضرورات الداخلة على الشعر، كما قال رؤبة: ...»[4].

---

(1) خلق الإنسان في اللغة (ص ٢٥١) بتصرف.

(2) كتاب خلق الإنسان (ص ١٩، ٢٠) بتصرف.

(3) خلق الإنسان في اللغة (ص ٢٥٧).

(4) خلق الإنسان في اللغة (ص ٨٤، ٨٥) بتصرف.

وقوله: «فأما قول العجاج:

خَالَطَ مِنْ سَلْمَى خَيَاشِيمَ وَفَا

فإنه أراد (وفمًا)، فاضطر»[١].

– وقال: «قال رجل مِنَ الأزد يصف سحابًا:

فَظَلْتُ لَدَى البَيْتِ العَتِيقِ أُخِيلُهُ ومِطْوَايَ مُشْتَاقَانِ لَهُ أَرِقَانِ

... وحذف الحركة من الهاء ضرورة»[٢].

١٢– ذكر وجوه الإعراب في الشواهد الشعرية: وهذا وإن لم يُولُوه عناية خاصة، إلا أنه وُجدت عند بعض أصحاب هذه المعجمات نماذجُ يسيرةٌ منه، مِن ذلك قول ثابت: «قال الكميت:

وَأَشْعَثَ فِي الدَّارِ ذِي لِمَّةٍ يُطِيلُ الحُفُوفَ وَلَا يَقْمَلُ

يعني: الوتد. قوله: «وأشعثَ» مَن نصب على أنه في موضع الخفض نسقه على قوله:

وَمَاذَا يُهِيجُكَ مِنْ دِمْنَةٍ .....

ومِنْ أشعثَ، ومَن تركه على نصبه على أنه في موضعه عطفه على الغراب، فيكون (ذا)»[٣].

– ومنه قول الحسن بن عبد الرحمن: «الكَفَلُ: العجز، وجمعه: أكفال، قال زهير:

يَمْشِينَ مَشْيَ قَطَا البِطَاحِ تَأَوُّدًا خُمْصَ البُطُونِ رَوَاجِحَ الأَكْفَالِ

(1) (ص ٢٢٠ – ٢٢١).

(2) (ص ٢٧١) بتصرف، وينظر: (ص ٢٥٣، ٢٦٣، ٣١٩).

(3) كتاب خلق الإنسان (ص ٨٤) يريد: فيكون: ذالمة، وينظر: (ص ٢٠، ٩٩).

نصب خمص البطون، ورواجحَ الأكفال على الحال، وإن كانا مضافين إلى معرفة لم يتعرفا؛ لأن إضافتهما غير محضة، والأصل: خُمْصًا بُطُونهُن، رواجح أَكْفالُهُنّ، ولا يُشتق مِن الكَفَل فعلٌ ولا نعتٌ»[1].

ثانيًا: الظواهر الصرفية:

تتضمن معاجم خلق الإنسان ثروةً هائلةً مِنَ الظواهر الصرفية مغمورة في بطون هذه الكتب، ولم أقف على مَن وجّه عنايته لإبراز هذه الظواهر، ومعظم مَن يتولى دراسة هذه المعاجم يتناولها مِنَ الناحية التاريخية فحسب، وقد تتبعت هذه الظواهر الصرفية واللغوية في هذه المعاجم المختصة بخلق الإنسان ورصدتها، فألفيتُها مادة غزيرة جدًّا تضيق مساحة هذا البحث عنها، وسأورد أبرز هذه الظواهر وأكثرها ورودًا:

١- **العناية بتصاريف الكلمة واشتقاقاتها**، فيذكرون اللفظة، وتصاريفها، ومشتقاتها الفعلية والاسمية مِن فعل ماضٍ ومضارع، ومصدر، واسم الفاعل، والمفعول، والصفة المشبهة، مما يُعد إضافةً لدراسة الأبنية لهذه الألفاظ.

وأبرز مَن عُني بذلك: الأصمعي وثابت، **ومن أمثلة ذلك ما يلي:**

قال الأصمعي في باب أمراض العين: «وفيها الدَّوَش، وهو ضعف البصر وضيق العين، يقال: دَوِشَتْ عينُه تَدْوُش دوشًا... يقال: اسمَدَرَّتْ عيني تَسْمَدَرّ اسمِدْرَارًا... وفيها القَضَأ، يقال: قَضِئتْ عينُه تَقْضَأ قضأً، ولقد أقضأها الوجع، وهو فساد في العين... وفيها: الحَذَلُ، وقد حَذِلَتْ تحْذُلُ حَذَلًا، وهو حمرة وانسلاق وسيلان، يكون ذلك من حر أو بكاء... البَخَق: العَوَر، يقال: بَخِقَتْ عينه تَبْخَقُ بَخَقًا، ورجل أبْخَق، وامرأة بَخْقَا... وفيها: الزَّرَقُ، وهو أن يكون سواد العين أخضرَ، يقال: زَرِق يَزْرَق زَرَقًا، وقد ازْرَقّ، وقد ازْراقَّ»[2].

---

(1) خلق الإنسان في اللغة ص ٢٥٤، وينظر: ص ٦٢، ١٧٨.

(2) ص ١٨٢، ١٨٣ بتصرف. وينظر: ص ١٥٨، ١٥٩، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٢.

– ولا يَقِلّ ثابت عن الأصمعي في عنايته بذكر تصاريف الكلمة واشتقاقها، مِن ذلك قوله: «ويُقال: عَسَتْ يده تَعْسُو عُسُوًّا: إذا غَلُظَت... وثَفِنَتْ تَثْفَنُ ثَفَنًا كذلك... فإذا كان بين الجلد واللحم ماء، قيل: مَجَلَتْ تَمْجُلُ مَجْلًا، ونَفِطَتْ تَنْفَطُ نَفَطًا ونَفْطًا ونَفِيطًا»(١).

٢– **العناية بذكر الميزان الصرفي:** فقد اعتنى بذلك معظم أصحاب هذه المعجمات، وكثيرًا ما يُلحقون به المثال الصرفي؛ لضبط الكلمة، وتقريبها، وأكثر مَن عُني بذلك الحسن بن عبد الرحمن، وثابت، ثم الغزي. ومن أمثلة ذلك قول ثابت عن مُوْق العين: «وفي العين المُؤْق: وهو طرف العين الذي يلي الأنف... ويجمع، فيقول: أمآق، مثال: أمْعاق ... وبعضهم يقول: ماقٍ، على مثال قاضٍ ... وبعضهم يقول: مُؤْقٍ، مهموز، على مثال مُعْطٍ، ويجمع مُآقٍ، على مثال مُعاقٍ... ومُؤْقٍ، مهموز وغير مهموز على مثال مُفْعِل، مكسور فيهما جميعًا... ويقال: مُوقِئ، مثاله مُوْقِع، ويجمع مواقئ، مثاله: مَوَاقِع»(٢).

وقوله: «وجمع القُرْء: أقْراء على أفعال، وقروء على فُعُول»(٣).

– وقد كان لذكر الميزان الصرفي عند الحسن بن عبد الرحمن عناية خاصة، فاق بها غيره، مِنْ ذلك قوله: «التُّرْقوَتان: العظمان المشرفان على أعلى الصدر مِن رأس المنكبين إلى ثُغْرة النَّحْر، الواحدة تَرْقُوة، بوَزْن فَعْلُوة، وجمعها تَراق، بوزن فَعَالي، والعلة فيه كالعلة فِي جوارٍ، إلا أن جواريَ فواعِل»(٤).

(1) ص ٢٣٥ بتصرف. وينظر: ص ١، ٤، ٧، ٨، ١٢، ١٨، ٢٣، ٣٢، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢. وينظر: خلق الإنسان للزجاج ص ٢٢.
(2) كتاب خلق الإنسان (ص ١١١ – ١١٢) بتصرف.
(3) ص ٥، وينظر: ص ١، ١٤، ٧٤، ١٣٠، ١٦٤، ٢١٩.
(4) خلق الإنسان في اللغة (ص ٧٨)، وينظر: ص ٥٩، ٦٤، ٦٦، ٧٠، ١٠٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ٢٢٣، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٩٠، ٣١٨.

٣- العناية بذكر الجموع؛ حيث كان لمعظم أصحاب هذه المعجمات عناية لافتة بذكر الجموع، وما يتصل بها مِن جموع القلة والكثرة، وجمع الجمع، وجمع التكسير، والجموع التي لا مفرد لها، واسم الجمع، وكان الحسن بن عبد الرحمن أكثر عناية بهذا مِن غيره، يليه ثابت، والغزي. مِن ذلك قول الأصمعي: «المَصَارِين، وهي جماع الجماع، والواحد مَصِير، ثم مُصْران، ثم المَصَارِين»(١).

- وقول ثابت في باب الأنف وصفاته: «ويجمع أنُفًا على القلة، فإذا كثرت فهي الأنوف»(٢).

- ومِن أمثلته أيضًا قول الغزي: «البَنانُ: أطراف الأصابع، أو الأصابع نفسها، واحده بَنانة، وجمع القلة بَنَانَات، وربما استعاروا بناء أكثر العدد لأقله، قال الراجز:

خَمْسَ بَنَانٍ قَانِئِ الأَظْفَارِ

يريد: خمسًا من البنان، ويقال: بَنَان مخضَّبٌ؛ لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء، فإنه يُوحد ويُذكر»(٣).

- وقد يشيرون إلى المقيس وغير المقيس مِنَ الجموع؛ كقول الغزي: «الذَّكَرُ: وهو بخلاف الأنثى، وجمعه ذُكور، وذُكُورة، وذِكار، وذِكارة، وذُكران، وذِكَرَه، وللفرج وجمعه ذُكور، ومذاكير، على غير قياس»(٤).

وقال الحسن بن عبد الرحمن: «الحَلْقُ: ما أقبل من العُنُق، وهو مذكر، وجمعه حُلُوق، وقد يُجمع على أحلاق كَفَرْخ وأَفْراخ، وزَنْد وأَزْناد، أنشد الفراء:

---

(1) كتاب خلق الإنسان ص ٢١٩، وينظر: ص ١٩٠، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢٣.

(2) السابق ص ١٤٤، وينظر: ص ٨، ٢٤، ٢٧، ٣٢، ٤٣، ٤٧، ٥٣، ٩١، ١٠٠، ١٦٤، ١٩٠، ١٩٢، ٢٤٩.

(3) ذكر أعضاء الإنسان ص ٣١.

(4) ص ٦١، وينظر: ص ٨٩، ٩١.

إِنَّ الــذِينَ يَــسُوغُ فِــي أَحْلَاقِهِــمْ زَادٌ يُمَــــنٌّ عَلَــــيْهِم لِلئَــــامِ

وقد قالوا: حُلُق، فجعلوه اسمًا للجمع على غير قياس، كما قالوا: عُبُد، قال: المخبَّل السَّعدي:

حَتَّــى إِذَا انْــضَمَّتْ حَلَاقِــيمُ الحُلُــقْ .....»[1]

٤– الإعلال والإبدال:

وهذان مِن أهم القضايا الصرفية التي تقوم عليها بنية الكلمة، فالإعلال هو التغير الذي يطرأ على حروف العلة أو الهمزة مِن قلب أو نقل أو تسكين أو حذف، والإبدال هو: وضعُ حرفٍ مكان حرفٍ آخرَ، صحيحًا كان أو معتلًّا، ولهذا يُمكن أن يقال: بين الإعلال والإبدال خصوص وعموم.

وقد أولى بعض أصحاب معجمات خلق الإنسان الإعلال والإبدال في بنية الكلمة عناية لافتة، وأكثر مَنِ اعتنى بذلك منهم: الحسن بن عبد الرحمن، ثم الغزي، ثم ثابت.

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ– **قلب الواو في أول الكلمة همزة**، في نحو: وجوه وأجوه، قال الحسن بن عبد الرحمن في معنى الذَّكر: «وهو أيضًا الأُداف، وجاء في الحديث: «وفي قطع الأُداف الدية «وكان الأصل فيه: وُداف... ثم قُلبت همزة، لوقوعها مضمومة، وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة؛ جاز أن تبدل همزة، لقولهم: أُجوه ووُجُوه، وأُقِّتَت ووُقِّتَتْ»[2].

(1) خلق الإنسان في اللغة ص ١٠١، وينظر: ص ٤٩، ٥٣، ١٣٠، ١٣٣، ١٤١، ١٤٣، ١٥٢، ١٦٣، ١٨٦، ١٨٩، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٨٨، ٢٨٩.

(2) خلق الإنسان في اللغة ص ٦٦، وينظر: ص ٦٣، ٣١٢، ٣١٦، وينظر: ذكر أعضاء الإنسان للغزي ص ٢٢.

ب- قلب الواو والياء المتطرفة همزة:

قال الحسن بن عبد الرحمن: «الأنقاء: عظام الذراعين والعضدين والساقين... قال الأصمعي: واحد الأنقاء نقا مقصور، وقال ابن دريد وغيرُه مِن أهل العلم: واحدها نقو، وأما النِّقي، بالياء، فهو المخ، وجمعه: أنقاء أيضًا، وإنما هُمزت الواو والياء في الجمع لوقوعها طرفًا بعد ألف زائدة، كأَحْقَاء جمع حِقْو، وأَنْهاء جمع نِهْي، وهو الغدير»(١).

جـ - قلب الواو ياء:

قال الحسن بن عبد الرحمن: «الثَّدْيُ، بفتح الثاء، معروف... وجمعه في الكثرة: ثُدِيٌّ، وكأن الأصل ثُدُوْي، مثل كُعُوب وفُلُوس، فلما سبقتِ الواوُ بالسكون قُلبت ياءً، وأدغمت في الثانية، وكُسرتِ الدال لتصح الياء. وأيضًا فلأن جمع مثل هذا مما هو مِن ذوات الواو يُقلب إلى الياء ليس غير؛ لِثقل الجمع؛ كقولهم: دُلِيٌّ، في جمع دَلْو، إلا أحرفًا شاذة، قالوا: نُحُوٌّ في جمع نَحْو، وبَهْوٌ وبُهُوّ، ونَجْوٌ ونُجُوّ، للسحاب، وابنٌ وبُنُوّ، وقالوا: أبٌ وأُبُوّ»(٢).

د - قلب الواو المفتوح ما قبلها ألفًا:

قال الحسن: «اللَّطَاة: الجبهة، ووزنها فَعَلَة، محركة العين، كان الأصل لَطَوَة، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، انقلبت ألفًا، وجمعها لَطًا ولَطَوَات»(٣).

هـ - قلب الهمزة ياء وواوًا:

قال الحسن: «العلباءان: عصبتان صفراوان في طول العُنق... الواحد عِلْباء مصروف؛ لأن همزته زائدة للإلحاق... ومِنَ العرب مَن يجري الهمزة في هذا

---

(1) خلق الإنسان في اللغة ص ٣٠٣ بتصرف.

(2) السابق ص ٨١ بتصرف، وانظر: ص ٦٤، ٦٥، ٢٩٠، ٣٠٥.

(3) السابق ص ٢٦١، وينظر: ٢٦٢.

مجرى همزة التأنيث؛ لأنها زائدة مثلها، فتبدل مكانها في التثنية واوًا، فتقول: علباوان؛ كقولهم: حمراوان، ونُفَساوان»[١].

وقال في بيت عبد الرحمن بن حسان:

وَكُنْـــتَ أَذَلَّ مِـــنْ وَتَـــدٍ بِقَـــاعٍ يُـــشَجِّجُ رَأْسَـــهُ بِـــالفِهْرِ واجِـــي

«أراد: واجِئ، فقلب الهمزة ياءً»[٢].

وهناك أمثلة كثيرة على الإبدال، منها ما يتعلق بالحرف، ومنها ما يتعلق بالحركة نقلها أو تحريكها بحركة مغايرة، أو تسكينها لعلل صرفية[٣].

٥- قلب تاء الافتعال:

قال الحسن: «الضَّبْعُ، بسكون الباء: نصف العضد مِن أعلاها... ويُقال: اضْطَبَعَ الرجلُ بثوبه: إذا جعله على ضَبْعِه، والأصل فيه اضْتَبَعَ، بوزن افْتَعَل، فقُلبت التاء طاءً؛ لأنها مِن مخرج واحد إلا أن التاء مهموسة والطاء مجهورة، فاستثقلوا الخروج مِن حرف مجهور إلى مهموس، فقلبوه حرفًا مجهورًا؛ لأنه أخف على ألسنتهم، ومثله: اضْطَجَع، واضْطَرَبَ، وما أشبههما»[٤].

٦- القلب المكاني وغير المقيس:

وهو وضع حرفٍ مكان حرف آخرَ لغير علة تصريفية، وهو قلب سماعي على غير قياس، وقد عُني بعض أصحاب هذه المعجمات بملاحظته، وممن أولاه عنايته الحسن بن عبد الرحمن، ثم ثابت، فالأصمعي، فالغزي.

---

(1) خلق الإنسان في اللغة ص ١٩٩ بتصرف، وينظر: ذكر أعضاء الإنسان للغزي ص ٩٣.

(2) ص ٣١٣.

(3) ينظر: كتاب خلق الإنسان لثابت ص ١٢٥، ١٣٠، وخلق الإنسان في اللغة ص ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٤، ١٤٥، ٢٢٥، ٢٥٣، ٢٧٩، ٢٨٥، ٢٨٧.

(4) خلق الإنسان في اللغة ص ١٨٢ بتصرف، وينظر: ذكر أعضاء الإنسان للغزي ص ٣٧.

ومِنْ أمثلة ذلك، قول الأصمعي: «وفي الأذنين الغرضوف، وبعض العرب يقول: الغضروف، وهو ما أشبه العظم الرقيق»[1].

– وقول ثابت: «وفي الوجه المُسَال... وأنشد لأبي حية النميري:

فَلَمَّـا نَعَـشْنَاهُ عَـنِ الرَّحْـلِ يَنْثَنِـي مُـسَالَيْهِ عَنْـهُ مِـنْ وَرَاءٍ ومُقْـدِمِ

... ويُرْوَى: (مَسَالِيهِ)، أراد: (مَسَايِلَهُ)، فقلب، جمع مسايل»[2].

– وقول الحسن: «وطي تقلب الألف التي في القفا ياء إذا أضيف إلى مضمر، تقول: هذا قَفَيْكَ، وقَفَيْهِ، وقيل: إنها لغة هذيل، وكذلك يفعلون بكل ألف مقصورة إذا أضافوا إلى الياء التي هي ضمير المتكلم، يقولون: هذه عَصَيَّ، وهَوَيّ، قال سيبويه: وذلك لأن الألف خفيفة والياء خفيفة، فكأنهم تكلموا بواحدة، فأرادوا البيان... وقيل: كان لطلحةَ امرأة من طيئ فأخذ بلغتها، وقال في عبد الله ابن الزبير:

يـا بـن الزبيـر طالمـا عـصيكا

... قوله: (عَصَيْكا) يريد: عَصَيْتا، فقلب التاء كافًا»[3].

٧– الأصالة والزيادة والحذف:

وهي مِن أهم الظواهر الصرفية التي تعنى ببنية الكلمة وما يطرأ عليها مِن حذف لبعض أصولها، وزيادة عليها؛ مما يُؤثر في وزنها الصرفي، وكان الحسن

(1) كتاب خلق الإنسان ص ١٧٠، ١٧٩، ١٨٩، ٢٢٢.
(2) كتاب خلق الإنسان ص ١٠١، ١٠٢ بتصرف، وينظر: خلق الإنسان في اللغة للحسن بن عبد الرحمن ص ١١٢، ١٧٦، ٢٢٢، ٢٤٨، ٢٥٧، وكتاب خلق الإنسان للإسكافي ص ٥٤، ١٤٠، ١٧١، وذكر أعضاء الإنسان للغزي ص ١٠٦، ١٣١.
(3) خلق الإنسان في اللغة ص ٢٣، وينظر: ص ٧٢، ٧٣، ١٣٨، ١٤٨، ١٥١، ١٩٧، ٢١٦، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٥٨، ٢٦٧. وخلق الإنسان للأصمعي ص ١٦٣، وكتاب خلق الإنسان لثابت ص ٧٣، ٧٧، ٨٥ – ٨٦، ٩٠. وذكر أعضاء الإنسان للغزي ٧٥، ١٠٦، ١٠٧.

ابن عبد الرحمن – كعادته – أكثر عناية بإبراز هذا المظهر الصرفي مِن غيره، فبيَّن ما يطرأ على الكلمة مِن حذف أو زيادة أو تعويض.

ومن أمثلة ذلك قوله: «البُلْعُوم: مجرى الطعام في الحلق... والقياس عندي أن تكون الميم زائدة؛ لأنه مشتق مِنَ البلع، فيكون وزنه: فُعْلُوم، والميم قد تقع زائدة في مواضعَ، نحو قولهم: رجل زُرْقُم؛ لأنه مِنَ الزُّرْقَة، وسُتْهُم للكبير الاست، وفُسْحُم، من انفساح الصدر، وشَدْقَم، وهو الأَشْدَق، وشَجْعَم، وهو الشجاع... ودرع دُلامِص، بوزن فُعامِل، لقولهم: دِلاص، وهي اللَّينة البرَّاقة، والجَذْعَمَة، وهو الصغير، مأخوذ من الجَذَع»(١).

– وقول الغزي: «البِنْصَر: بكسر الباء والصاد: الإصبع بين الوسطى والخِنْصِر، مؤنثة، والجمع بناصر، ونونه أصلية»(٢).

– ومِنَ الأمثلة على الحذف: قول الحسن: «الرئة، بالهمز على زنة الرِّعَة، معروفة، وكان الأصل فيها رِئْيَة، فحُذفت الياء التي هي لام الفعل، دليل ذلك قولهم فيمن تصاب رئته: مرأيٌّ فاعلم»(٣).

٨– التصغير، وهو باب جليل من أبواب التصريف:

وقد أولاه بعض أصحاب هذه المعجمات شيئًا مِنَ العناية على تفاوت بينهم، وأكثرهم عناية بذلك الحسن بن عبد الرحمن، ثم الغزي، فثابت، ثم الأصمعي الذي لم أجد له سوى موضع واحد فقط، قال فيه: «وفي البطن الأَعْفَاج ... وهي الأقتاب، والواحدة قِتْب، وتصغيرها قُتَيْبة، وبها سُمي الرجلُ قُتيبة»(٤).

---

(1) خلق الإنسان في اللغة ص ٧٠، وينظر: ص ١١٤، ١٣٠، ١٩٩، ٣١٨.

(2) ذكر أعضاء الإنسان ص ٢٩ بتصرف.

(3) خلق الإنسان في اللغة ص ١٤١، وانظر أيضًا: ص ٦٣، ٦٤، ١١٤، ١٤١، ١٥٨، ١٦٧، ٢٢٠، ٢٣٣، ٢٤٧، ٣١٩، وكتاب خلق الإنسان لثابت ص ١٥٢، وذكر خلق الإنسان للغزي ص ٥٧.

(4) خلق الإنسان ص ٢١٩ بتصرف.

– وقال ثابت في باب الفم: «فأوله الشَّفَةُ... والواحد شَفَةٌ منقوصة لام الفعل، وكان ينبغي أن تكون شَفَهَة، ويدلك على ذلك أنهم إذا صغروها قالوا: شُفَيْهَة، فيردونها إلى أصلها... كقولهم: شاة وشُوَيْهة وشياه، وماء ومُوَيْهٌ ومياه»(١).

– وقد أكثر الحسن بن عبد الرحمن مِن ذكر التصغير في معجمه كثرة لافتة، من ذلك قولُه: «الأصابع من اليدين والرجلين، واحدتها إصْبَغ، وهي مؤنثة، وتصغيرها أُصَيْبِع بغير هاء؛ لأنها زائدة على ثلاثة أحرف، كما تقول في تصغير: عَقْرَب وزينب: عُقَيْرِب وزُيَيْنِب»(٢).

٩– النسب: والعناية به عند أصحاب معاجم خلق الإنسان أقل كثيرًا من النسب، وممن ذكره: الحسن بن عبد الرحمن والغزي.

قال الحسن: «الثَّدْي، بفتح الذال، معروف، وهو مذكر، يقال في تصغيره: ثُدَيّ... ومِنَ العرب مَن يكسر أولها فيقول: ثِدِيّ ودِلِيٌّ، على جهة الإتباع؛ فإن نسبت إلى ثَدْي في لغة مَنْ كَسَر. قلت: ثُدَوِيّ، فتضم الثاء ليس غير؛ لأنها فُعُول، وإنما كُسرت للإتباع، تردّ في النسب إلى أصلها»(٣).

– وقال الغزي: «الشَّفة: معروفة، وتُكسر، وهما شفتان، ولامها هاء؛ لأن تصغيرها شُفَيْهة، والجمع شِفاهٌ وشَفَوَات، وإذا نسبت إليها فإن شئت تركتها على حالها فقلت: شَفِيّ، كدَمِيّ، ويَدِيّ، وإن شئت: شَفَهِيّ»(٤).

---

(1) كتاب خلق الإنسان ص ١٥٢ بتصرف، وينظر: ص ٢٦٥، ٣٠٩.

(2) خلق الإنسان في اللغة ص ٥٨، وينظر: ص ٦٣، ٨١، ١٢٩، ١٣٠، ١٦٠، ١٦٧، ١٧٦، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣١٢، ٣١٩. وينظر: ذكر خلق الإنسان للغزي ص ٧٨، ٩٩، ١٠٧، ١٢٨، ١٥٢.

(3) خلق الإنسان في اللغة ص ٨١، ٨٢ بتصرف. وينظر: ص ٨٧، ١٢٦.

(4) ذكر أعضاء الإنسان ص ٧٨، وينظر: ص ٢٧، ١٣٢.

* هذه أبرز الظواهر الصرفية في معاجم خلق الإنسان وأكثرها ترددًا، وهناك دقائقُ صرفيةٌ آثرت تركها اكتفاء بذكر الأظهر منها.

غير أن هناك ظاهرتين بارزتين كان لهما حضور لافت عند معظم أصحاب هذه المعجمات، وهما ظاهرة التذكير والتأنيث، وظاهرة المقصور والممدود، لكني آثرت عدم ذكرهما ههنا لعدم تمحضهما للصرف؛ مِن جهة، حيث يصنفها البعض ضمن المباحث اللغوية، ولكوني أوردت منهما جملة صالحة في المبحث الأول في الدراسة الوصفية.

**

المبحث الثالث

الموازنة بين كتب خلق الإنسان

لقد تبين في المبحث الأول منهج كل كتاب مِن كتب خلق الإنسان المطبوعة، وتتمة للبحث يحسن إجراء موازنة بين تلك الكتب، مِن خلال منهجها في الترتيب، ومادتها اللغوية، ومصادرها، وشواهدها، وعنايتها بالظواهر الصرفية والنحوية وغير ذلك؛ ليتضح ما اشتركت فيه مِن مظاهرَ وما اختلفت فيه، وتفوق بعضها على بعض.

أولًا: تباين هذه الكتب في الترتيب:

لم تلتزم كتب خلق الإنسان نمطًا واحدًا في تصنيف كتبها وترتيب مادتها، **بل افترقت بين طائفتين:**

طائفة: رتبت كتبها ترتيبًا عضويًّا تنازليًّا، يبدأ مِن أعلى جسد الإنسان –وهو الرأس– وينتهي بالقدمين، وهم الأغلب: الأصمعي، وثابت، والزجاج، وابن فارس، والإسكافي، والسيوطي.

وطائفة رتبت كتبها على حروف المعجم ترتيبًا هجائيًّا؛ ابتداء مِنَ الهمزة وانتهاء بالياء، وجعلت لكل حرف بابًا، غير أنها لم ترتب الألفاظ تحت كل باب، بل جاءت دون ترتيب ولا تنسيق، فلم تراع فيها ترتيبًا هجائيًّا ولا ترتيبًا عضويًّا، وأول مَنْ صنَّف على هذا النسق ابن حبيب، وتبعه الحسن بن عبد الرحمن والغزي.

فنجد الألفاظ في باب الخاء عند ابن حبيب – مثلًا – على النحو التالي: خصية، خَصْر، خد، خِنْصِر، خُضُمَّة، خَثْلة.

ثانيًا: تباينها في المقدمة والخاتمة:

تباينت هذه الكتب أيضًا في ابتداء كتبها، فبينما نجد بعضها تبدأ بمقدمة تمهد للدخول في صلب الموضوع، كما فعل ثابت بن أبي ثابت، وابن فارس،

والحسن بن عبد الرحمن، والسيوطي، والغزي، نجد البعض الآخر يجرد كتابه مِنَ المقدمة، وهم ابن حبيب، والزجاج، والإسكافي.

ثم إن أصحاب المقدمات تباينوا فيما بينهم، فجاءت مقدمة ثابت وابن فارس، والغزي موجزة جدًّا، تُقدَّر ببضعة أسطر، وجاءت ضافية عند الحسن بن عبد الرحمن، والسيوطي، بيَّنا فيها غرضهما من الكتاب ومنهجهما فيه.

– أما خاتمة هذه الكتب فليس ثمة خاتمة لأحدها بالمفهوم العلمي الحديث، وإنما المقصود بها نهاية الكتاب؛ وقد تباين فيها أصحابها تباينًا كبيرًا؛ فالأصمعي ختم كتابه بذكر طائفة مِن صفات الرجال الحسية والمعنوية.

– أما ثابت فقد ختم كتابه بذكر ما في جسد الإنسان مِنَ العظام ومواضعها مِنَ الجسد.

– وأما ابن حبيب فقد كان آخر باب ذكره هو باب الواو، ولم يورد للياء بابًا، وقد استدركه عليه الغزي فختم به كتابه، وكذلك فعل الحسن بن عبد الرحمن.

– أما الزجاج فقد ختم بأسفلِ عضو في الإنسان، وهو القدم، ومثلُه فعل السيوطي أيضًا.

– وأما ابن فارس فكان آخر كتابه الحديث عن مراحل عمر الإنسان.

– وختم الإسكافي كتابه بباب الحمل والولادة.

ثالثًا: تباينها في حجم المادة اللغوية:

لم تتباين هذه الكتب في شيء تباينها في مادتها اللُّغوية؛ مِن حيث سَعة ألفاظها وقلتها، وغزارة معانيها وفقرها، وطول شروحها وإيجازها، ووضوح العبارة وغموضها، ونحو ذلك مما يتصل بالمادة اللغوية.

أ– فمِن حيث كثرة ألفاظها: فقد تباينت فيما بينها كثرة وقلة.

ولقد فاق السيوطي غيره في كثرة الألفاظ في كتابه؛ حيث بلغت (ألفًا وأربعمائة وخمسة وسبعين لفظًا).

– يليه ثابت بن أبي ثابت؛ حيث بلغت (ألفاظه ألفًا ومائة وتسعين لفظًا).

– ثم الإسكافي وبلغت الألفاظ في كتابه (ألفًا ومائة وخمسة ألفاظ).

– ثم الحسن بن عبد الرحمن وبلغت الألفاظ في كتابه (تسعمائة وخمسة وخمسين لفظًا)، مع الأخذ في الاعتبار أنه اقتصر في كتابه على الأسماء دون الصفات.

– ثم الغزي، وبلغت ألفاظ كتابه (سبعمائة وثلاثة وستين لفظًا).

– ثم الأصمعي وعدد ألفاظه (سبعمائة وخمسون تقريبًا).

– فالزجاج وبلغت الألفاظ في كتابه (خمسمائة وثمانين لفظًا).

– ثم ابن فارس وعدد ألفاظه (ثلاثمائة وسبعون لفظًا).

– وآخرهم ابن حبيب، وقد بلغت الألفاظ في كتابه (مائتين وستين لفظًا).

ب– أما مِن حيث غزارة المعاني وفقرها، فقد افترقت فيما بينها طرائق قِددًا.

فعلى حين اكتفى ابن حبيب بتَعداد أعضاء الإنسان – غالبًا – دون شرح أو تفسير، إلا ما ندر، نجد المعاني عند ثابت أكثر غزارة وثراء مِن غيره، فلم يقتصر على شرح اللفظة وتفسيرها بعبارة قصيرة، بل كان يُطيل في الشرح والإيضاح معتمدًا على التحليل والتعليل والاستشهاد، وذكر الأساليب والأقوال المختلفة واللغات وبعض المسائل النحوية واللغوية، وقد يعرض لبعض القصص والأخبار.

وقريب مِن ثابت وإن لم يبلغوا مبلغه الأصمعي والحسن، والغزي.

أما الزجاج وابن فارس والإسكافي والسيوطي فقد ابتغوا التوسط مسلكًا، فكانوا وسطًا بين الإيجاز والإطناب مع تفاوت فيما بينهم، فأشدهم اختصارًا ابن فارس، يليه الإسكافي فالسيوطي والزجاج.

رابعًا: تباينهم في التفرد والسمات:

لقد انفرد الحسن بن عبد الرحمن عن غيره بإهمال صفات جسم الإنسان والاقتصار على ذكر أسماء الأعضاء فقط.

وعُني السيوطي بذكر الصفات أكثر مِن غيره، فأردف كل عضو بذكر صفاته.

كما انفرد السيوطي بجمع مادة غزيرة جدًّا فيما للرجل والمرأة من أعضاء خاصة.

– **وامتاز الأصمعي وثابت** بذكر ما يخص الحيوان، يليهما في ذلك الحسن ابن عبد الرحمن.

– **وامتاز الحسن بعنايته بذكر المسائل التصريفية والنحوية واللغوية** عناية فاق فيها غيره، يليه في ذلك الغزي فثابت والأصمعي، ولا أثر لذلك البتة عند ابن حبيب.

– وامتاز الحسن بن عبد الرحمن، ثم الغزي بظهور شخصيتهما أكثر مِن غيرهما، فكثيرًا ما نجد أحدهما يخطئ ويختار[1]، يليهما في ذلك ثابت، ثم الأصمعي. أما البقية فلم تظهر لي شخصية واحد منهم.

خامسًا: تباينها في وضوح العبارة:

أمَّا وضوح العبارة وغموضها فقد حرص معظمهم على وضوح عبارته.

وإن كان المتقدم منهم؛ كالأصمعي وثابت أكثر غموضًا في بعض الأحيان ممن جاء بعدهم، وبخاصة الأصمعي، وقد حرص ابن فارس على وضوح عبارته أكثر مِن غيره، حتى إنه ليشرح أحيانًا ما لا يحتاج إلى شرح لشدة ظهوره.

(1) ينظر: خلق الإنسان في اللغة للحسن بن عبد الرحمن ص ٥٣، ٦٣، ٦٧، ٧٠، ٨٤، ١٢١، ١٤٠، ١٦٠، ١٧١، ١٧٧، ١٩٠، ٢٠١، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٩٤، ٣٠٠. وينظر أيضًا: ذكر أعضاء الإنسان للغزي ص ٢٩، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٩، ٧١، ٨٩، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٣.

وأبرز مظاهر الحرص على الوضوح: ضبط الألفاظ اللغوية، وقد فاق الغزي غيره في هذا الجانب، حتى إنه لا يكاد يدع لفظة واحدة دون ضبط.

يليه في ذلك الحسن بن عبد الرحمن، ثم السيوطي، وثابت بن أبي ثابت، فالأصمعي.

أما الزجاج فقد ندر عنده ضبط الألفاظ، ومع ذلك فهو أحسن حالًا مِنِ ابن حبيب وابن فارس والإسكافي، فلم يكن للضبط أثرٌ عند واحد منهم.

سادسًا: تفاوتها في مصادرها:

فبعض تلك الكتب حرص أصحابها على ذكر مصادرهم مِنَ الكتب والرجال، وبعضهم أهمل مصادره إهمالًا تامًّا، وبعضهم وسط بين هؤلاء وهؤلاء.

١- فأما مَنْ حرص على ذكر مصادره فثابت بن أبي ثابت، فقد ذكر مصادره في مقدمة كتابه، وأشار إلى كثير ممن نقل عنهم في أثناء الكتاب.

ومثله فعل السيوطي، وكذلك الحسن بن عبد الرحمن، إلا أنه لم يُشِر في مقدمته الضافية إلى مصادره، واكتفى بذكر مصادره في أثناء الكتاب، وهو ما فعله الغزي أيضًا.

٢- وأما مَن كانت إشارته إلى مصادره قليلة فالأصمعي، فلم يُشر في أثناء كتابه إلا إلى أربعة أعلام فقط.

ثم الزجاج الذي لم يُشر إلا إلى الأصمعي وحده في ثلاثة مواضع فقط.

غيرَ أن الأصمعي ليس كالزجاج؛ كونه لتقدمه يعتمد على السماع، بخلاف الزجاج.

٣- أما مَن أهمل مصادره إهمالًا تامًّا، ولم يُشر إلى مصدر واحد البتة، فابن حبيب، وابن فارس، والإسكافي، والأخير نقل عن ثابت كثيرًا، إلا أنه لم يشر إليه مرة واحدة.

سابعًا: تباينها في الشواهد:

أ– **القرآن الكريم:** لقد اختلفت كتب خلق الإنسان في استشهاد أصحابها بالقرآن الكريم، فمنهم مَن لم يستشهد به البتة؛ كالأصمعي وابن حبيب والزجاج وابن فارس والإسكافي.

ومنهم مَنِ استشهد بآية واحدة فقط؛ كالسيوطي.

ومنهم مَنِ استشهد بآيات قليلة؛ كثابت الذي استشهد بأربع آيات فقط، والغزي حيث استشهد بخمس آيات فحسب.

أما الحسن بن عبد الرحمن فقد أكثر من الاستشهاد به؛ حيث استشهد بثلاث وثلاثين آية.

ب– الحديث الشريف: كان حظ الحديث الشريف مِنَ الاستشهاد به في كتب خلق الإنسان متفاوتًا، فقد خلت منه كتب الأصمعي، والزجاج، وابن فارس، والإسكافي، والسيوطي، ولم يستشهد به سوى ثابت والحسن والغزي.

وكان الحسن أكثرهم استشهادًا به؛ حيث استشهد بـ (ستة وسبعين) حديثًا وأثرًا، والغزي أقلهم حيث لم يستشهد إلا بأربعة أحاديث فقط. أما ثابت فقد استشهد بسبعة عشر حديثًا.

جـ – الشعر: لقد كان حظ الشعر مِنَ الاستشهاد به وافرًا جدًّا، فقد حظي بنصيب الأسد من ذلك، فلم يخلُ منه كتاب سوى كتاب ابن فارس.

وأكثر مَنِ استشهد به الحسن بن عبد الرحمن؛ حيث استشهد بـ (٥٨٥ بيتًا).

يليه ثابت بن أبي ثابت؛ حيث استشهد بـ (٥٥٩ بيتًا)، ثم الأصمعي واستشهد بـ (٢٩٠) بيتًا، ثم تلا هؤلاء الغزي، واستشهد بـ(٥٢) بيتًا، فالإسكافي واستشهد بـ(١٧) بيتًا، فالسيوطي واستشهد بـ (٢٥) بيتًا.

– أما المقلُّون منهم فابن حبيب، واستشهد بتسعة أبيات، يليه الزجاج واستشهد ببيتين فقط.

د- الأمثال: وقد كان ثابت بن أبي ثابت أكثرهم احتفالًا بها؛ حيث استشهد بسبعة عشر مثلًا، يليه الأصمعي واستشهد بثمانية أمثال، ثم الحسن واستشهد بسبعة أمثال، فالغزي واستشهد بأربعة أمثال، ثم السيوطي واستشهد بمثل واحد فقط.

أما بقية كتب خلق الإنسان، فلم يستشهد أصحابها بالمثل مطلقًا.

**

– وهذا جدول بياني يُوضح تفاوت هذه الكتب في سَعة ألفاظها وثراء معانيها، وكثرة شواهدها وتعدد مصادرها، وظهور شخصية أصحابها، وعنايتهم بالظواهر النحوية والصرفية:

وجه المقارنة	الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	السابع	الثامن	التاسع	العاشر
سعة الألفاظ	المبرد ١٤٧٥ لفظًا	ثابت ١١٩٠ لفظًا	الإسكافي ١١٠٥ ألفاظ	المبرد بن خالويه الحلبي ٩٥٥ لفظًا	الأصمعي ٧٥٠ لفظًا	الخليل ٧٦٣ لفظًا	اللحياني ٥٨٠ لفظًا	ابن فارس ٣٧٠ لفظًا	ابن خالويه ٣٦٠ لفظًا	
ثراء المعاني[1]	ثابت	الأصمعي والمبرد والخليل	اللحياني والمبرمكي	الإسكافي	ابن فارس	ابن خالويه				
شواهد القرآن	المبرد ٣٠ آية	الخليل خمس آيات	ثابت أربع آيات	المبرمكي آية واحدة	الأصمعي وابن خالويه والحياني وابن فارس والإسكافي والمبرمكي					
شواهد الشعر والأمثال	المبرد ٧٦ مثلًا	ثابت ١٧ مثلًا	الخليل خمسة أحاديث	الأصمعي الحياني وابن فارس والإسكافي والمبرمكي						
شواهد اللغة	المبرد ٥٨٥ لغة	ثابت ٥٥٩ لغة	الأصمعي ٢٩٠ لغة	الخليل والكسائي لغة	الإسكافي سبعة وعشرون لغة	المبرمكي خمسة وعشرون لغة	اللحياني فقه اللغة	ابن فارس في المجمل	ابن خالويه	
شواهد الأمثال	ثابت ١٧ مثلًا	الأصمعي ثمانية أمثلة	المبرد سبعة أمثلة والخليل أربعة أمثال	المبرمكي مثل واحد	ابن خالويه والحياني وابن فارس والإسكافي والمبرمكي					
تعدد المصادر	المبرد	المبرمكي	الخليل	ثابت	الأصمعي ذكر أربعة أعلام	الحياني ذكر (الأصمعي) مرة واحدة	ابن خالويه وابن فارس والإسكافي لم يذكروا شيئًا			
تعدد الروايات	المبرد بعض الشواهد	الخليل	ثابت	الأصمعي	المبرمكي	الحياني	الإسكافي			
الظواهر النحوية والصرفية	المبرد	الخليل	ثابت	الأصمعي	المبرمكي	الحياني	الإسكافي	ابن خالويه		

(1) ثراء المعاني أمر نسبي والموازنة هنا تقريبية، وبخاصة من اشتركوا في درجة واحدة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد الرحمة المهداة، وعلى آله وأصحابه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فيحسن لي بعد تلك الجولة الممتعة في مَيْدان خلق الإنسان أن أرصد على عجالة أبرز النتائج التي سجلتها في هذا البحث.

١- تتبعت في الفصل الأول الكتب المستقلة في خلق الإنسان، فألفيتها قد بلغت ثلاثة وخمسين كتابًا (٥٣).

٢- درست في الفصل الأول كتب خلق الإنسان الموجودة كلها دراسة وصفية نقدية شاملة؛ حيث لم أجد مَن كفاني مؤنة هذه الدراسة.

3- بينت في الفصل الأول أثر كل كتاب على مَن بعده، وقد ظهر لي اعتماد ثابت والزجاج على الأصمعي، واعتماد الإسكافي على ثابت، واعتماد الغزي على ابن حبيب.

٤- ذكرت في الفصل الأول الألفاظ التي زادها بعضهم على بعض، ولم أقف على مَن أولى هذا الجانب عنايته مِنَ الدارسين.

٥- ذكرت في الفصل الثاني عناية بعض أصحاب هذه المعجمات بالظواهر النحوية والصرفية، فألفيت الحسن بن عبد الرحمن أكثرهم عناية، يليه الغزي، فثابت.

٦- وازنت في الفصل الثالث بين كتب خلق الإنسان مِن عدة وجوه، فتبين لي تفوق بعضها على بعض مِن بعض الوجوه.

والله أسأل أن يجعل هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به مَن قرأه، إنه جواد كريم، قريب مجيب.

**

فهرس المصادر

١- ارتشاف الضرب، لأبي حيان، ت د. مصطفى النحاس، مطبعة المدني، القاهرة، ط ١، ١٤٠٩ هـ.
٢- استعارة أعضاء الإنسان، لأحمد بن فارس، تحقيق: د. أحمد خان، دار الشؤون الثقافية في العراق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م.
٣- الأصول في النحو، لابن السراج، ت: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٧م.
٤- الإنصاف في مسائل الخلاف، لابن الأنباري، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
٥- البديع في علم العربية، لابن الأثير، ت: د. فتحي أحمد وصاحبه، جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ.
٦- بغية الوعاة، للسيوطي، المكتبة العصرية، بيروت.
٧- التأليف في خلق الإنسان من خلال معاجم المعاني، د. وجيه أحمد السطل، دار الحكمة، د. ت.
٨- التذييل والتكميل، لأبي حيان الأندلسي، ت د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٤١٨هـ.
٩- التصريح شرح التوضيح، لخالد الأزهري، دار الفكر، د.ت.
١٠- تمهيد القواعد، لناظر الجيش، ت: علي فاخر وآخرين، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ.
١١- توضيح المقاصد، للمرادي، ت: د. عبد الرحمن سليمان، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٢- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغداد، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط ٤.

١٣- خلق الإنسان لثابت بن أبي لثابت، تحقيق: عبد الستار فراج، إصدار وزارة الإعلام في الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م.

١٤- خلق الإنسان، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٥- خلق الإنسان، للأصمعي، ضمن الكنز اللغوي في اللسان العربي، نشر وتعليق: أوغست هنفر، مكتبة المتنبي، القاهرة، د. ت.

١٦- خلق الإنسان، للحسن بن أحمد بن عبد الرحمن، تحقيق: د. أحمد خان، نشر معهد المخطوطات في الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

١٧- خلق الإنسان، للخطيب الإسكافي، تحقيق: خضر عواد العكل، دار عمار، عمان، ودار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٨- خلق الإنسان، لمحمد بن حبيب، تحقيق: خليل العطية، مكتبة الثقافة، ١٤١٤ هـ.

١٩- ذكر أعضاء الإنسان للغزي، ت: د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، سورية، ٢٠٠٣م.

٢٠- رسائل وفصول في اللغة والأدب والتاريخ، لإبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٢١- سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢٢- شرح التسهيل، لابن مالك، ت: عبد الرحمن السيد، محمد المختون، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.
٢٣- غاية الإحسان في خلق الإنسان، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: مرزوق إبراهيم، دار الفضيلة، د. ت.
٢٤- الفهرست، لابن النديم، دار المسيرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.
٢٥- الكتاب، لسيبويه، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٨ هـ.
٢٦- كتب خلق الإنسان مع تحقيق غاية الإحسان، للسيوطي، نهاد حوسوبي صالح، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٩ م.
٢٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ.
٢٨- اللباب في علل البناء والإعراب، للعُكبري، ت: غازي طليمات، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٩- المعجم العربي نشأته وتطوره، د. حسين نصار، دار مصر، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨ هـ.
٣٠- معجم المعاجم العربية، يسري عبد الغني، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٣١- المفصل في علم العربية، لأبي القاسم جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ)، تحقيق: د. فخر صالح قدارة، الناشر: دار عمار، الأردن، تاريخ النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، الطبعة: الأولى.
٣٢- المقاصد الشافية للشاطبي، ت د. عبد الرحمن العثيمين، مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ.

٣٣- مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، تحقيق: فيصل دبدوب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٧م ١٣٨٦هـ، مج (٤٢)، ج (١).
٣٤- مؤلفات خلق الإنسان. دراسة وصفية تاريخية، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد (٣٣)، الجزء (٥)، ص ٣٢٨٨، عام ٢٠١٤م.
٣٥- همع الهوامع، للسيوطي، ت د. أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.

* * *